مظاهر العدل والوسطية

في

الأحكام الشرعية

للدكتورة

بديعة على أحمد الطملاوى

أستاذ ورئيس قسم الفقه المقارن بالكلية

المقدمة: الحمد لله تفرد بالربوبية كمالاً، واختص بالأسماء الحسنى والصفات العلى جلالاً، أحمده تعالى وأشكره على سوابغ نعمه إفضالاً وجزيل عطائه نوالاً، وأسأله المزيد من فضله دعاءً وابتهالاً، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، أمر بالتمسك بالإسلام وسطية واعتدالاً، وأشهد أن نبينا محمد عبد الله ورسوله، المبعوث بأوسط شريعة وأكملها أحكاماً، وصلى الله عليه وعلى آله وصحبه أكرم بهم صحباً وأنعم بهم آلاً، والتابعين ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين.

وبعد،،،

فلقد تميزت الأمة الإسلامية بخاصية منفردة لم تكن لأمة من الأمم السابقة وهي ميزة العدل والوسطية التى جعلها الله – سبحانه وتعالى – خصوصية لأمة سيدنا محمد ﷺ.

يتضح ذلك جلياً في قوله تعالى: ﴿ **وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَٰكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِّتَكُونُوا۟ شُهَدَآءَ عَلَى ٱلنَّاسِ وَيَكُونَ ٱلرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًا** ﴾. (١)

إن الإسلام الحنيف خاتم الأديان والرسالات تميز منذ فجر دعوته في العهد النبوي بالتوسط والاعتدال والسماحة واليسر ورفع الحرج والمشقة في جميع الشرائع والأحكام الإلهية والأنظمة الخالدة والصالحة لكل زمان ومكان إلى يوم القيامة، سواء في العقيدة والعبادة أو في المعاملات والأخلاق والعلاقات الاجتماعية والإنسانية، فهو دين الحنيفية السمحة كما قال بذلك رسول الله ﷺ:إن من يمعن النظر في جوانب عظمة هذا الدين الذي أكرمنا الله به وهدانا إليه – وما كنا لنهتدى لولا أن هدانا الله – يجد أن هناك سمة بارزة، وميزة ظاهرة، كانت سبباً في تبوء هذه الأمة مكانتها المرموقة بين الأمم، ومنحها مؤهلات القيادة والريادة للبشرية، ومقومات الشهادة على الناس كافة، إنها سمة الاعتدال والوسطية، التى تجلى صور سماحة الإسلام، وتبرز محاسن هذا الدين، ورعايته للمثل الأخلاقية العليا والقيم الإنسانية الكبرى.

(١) آية: (١٤٣) من سورة البقرة.

إن مقومات هذا الدين الإسلامي. برزت في جميع مراحل الدعوة إلى الله ودينه، ووضع البناء الإلهي لبنية الإسلام الصلبة في القرآن والسنة النبوية والتطبيق العملى للوحى وتنظيم الحياة الإنسانية، على أساس من الحق والعدل والاعتدال، والحكمة والعقل، ومراعاة أصول الفطرة الإنسانية وقدرات الإنسان وظروف الحياة الواقعية.

إن الدين الإسلامي يتمشى مع مقتضيات الحاجات الظاهرة، فهو يستطيع أن يتطور دون أن يتضائل خلال القرون، ويبقى محتفظاً بكل ما لديه من قوة الحياة والمرونة، فهو الذى أعطا العالم أرسخ الشرائع ثباتاً، لذا اجتذب هذا الدين السمح أنظار المعتدلين في المشارق والمغارب، وما يزال ينمو بقوته الذاتية، ويتكاثر أتباعه إلى يوم القيامة، وسيظل شرع الله تعالى ملاذ المجتمعات، وملجأ العقلاء، ومنطلق المناهج الإصلاحية، كلما احتدمت الأزمات واستحكمت المشكلات، وتكاثرت الهموم والقلاقل والاضطرابات، وضاق الناس بتصرفات الحمقى والجهلاء، ففي الإسلام السمح العلاج والإنقاذ، وبه تصلح البشرية ويعم الرخاء والخير والاستقرار والسلم والأمان، ومن خلاله يتحقق التقدم والازدهار، ومن مظاهر العدل والوسطية في التشريع الإسلامي أن أحكامه الشرعية تتسم بالمرونة، وقابلية تشريعاته للتجديد ومسايرة مقتضايات العصر، لذا فإن المتأمل في تعاليم الإسلام يتبين له أنها كلها قائمة على اليسر والسماحة والتوسط والاعتدال.

وهى تتسم بالتطور الخصب كما يقول علماء الغرب في شهادتهم للإسلام (توماس آرنولد) وإن بساطة هذه التعاليم ووضوحها على وجه التحقيق من أظهر القوى الفعالة في الدين وفي نشاط الدعوة إلى الإسلام.

ولما كان من الضرورة بمكان تحديد هذا المصطلح على ضوء المصادر الشرعية، منعاً للخلط في المفاهيم واللبس في التصور، وحتى نقف على حقيقة الوسطية ومجالاتها لتظهر الصورة المشرقة لسماحة هذا الدين، في الوقت الذى اشتدت فيه الحملة على الإسلام ورمي أتباعه بمصطلحات موهومة، وألفاظ مغرضة، لتشويه صورته والتنفير منه، تصيداً لأخطاء بعض المنتسبين إليه، في

زمن انقلبت فيه الحقائق وانتكست فيه المقاييس، وبلى بعض أهل الإسلام بمجانبة هذا المنهج الوضاء فعاشوا حياة الإفراط والتفريط، وسلكوا مسالك الغلو أو الجفاء، ودين الله وسط بين الغالى فيه والجافى عنه، والمنبتّ لا أرضاً قطع ولا ظهراً أبقى

وبين هؤلاء وقفت فئة تقتفى الأثر، وتصحح المنهج، وتقود الناس إلى الصراط المستقيم على منهج أهل السنة والجماعة وسلف الأمة، ينفون عن هذا الدين غلو الغالين، وانتحال المبطلين، وتفريط الكسالى والمرجئين، ودعاوى المرجفين الزائغين، ووسط هذا الواقع المؤلم والاضطراب المهلك تشتد الحاجة إلى إرشاد الأمة إلى الصراط المستقيم والمنهج الوسط القويم، لإنقاذها من كبوتها وإيقاظها من رقدتها، وتذكير الدعاة والمصلحين بالمنهج الحق والطريق البين الواضح: تصديقاً لقوله تعالى ﴿ وَأَنَّ هَٰذَا صِرَٰطِى مُسْتَقِيمًا فَٱتَّبِعُوهُ ۖ وَلَا تَتَّبِعُوا۟ ٱلسُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَن سَبِيلِهِۦ ۚ ﴾. (١)

ولقد تأملت طويلاً عند قضية الغلو والجفاء، الإفراط والتفريط، وأيقنت أن الأمة بأمس الحاجة إلى منهج الوسطية، منقذاً لها من هذا الانحراف الذي جلب عليها الرزايا والمصائب والنكبات.

وجدت أن القرآن الكريم قد رسم لنا هذا المنهج في جميع جوانبه، أصولاً وفروعاً، عقيدة وعبادة، خلقاً وسلوكاً، تصوراً وعملاً.

ولقد جاء منهج الوسطية في الأحكام الشرعية مستمداً من القرآن الكريم في أساليب عدة، تصريحاً وإيماءً، مفصلاً ومجملاً، خبراً وإنشاءً، أمراً ونهياً، لذا آثرت أن يكون لى اجتهاد ولو قليل في هذا الموضوع لعل الله ينفع بهذا البحث كل من يتطلع إلى معرفة العدل والوسطية في الدين الإسلامي داعية المولى جلت قدرته أن يلهمنى الصواب ويجنبني الذلل إنه ولى ذلك والقادر عليه.

وقد قسمت هذا البحث إلى مقدمة وخمسة مباحث وخاتمة.

(١) آية: (١٥٣) من سورة الأنعام.

المقدمة: **في سبب اختيار الموضوع وخطة البحث.**

المبحث الأول: **مفهوم الوسطية.**

المبحث الثاني: **مزايا الوسطية ومعالمها.**

المبحث الثالث: **حاجة الأمة إلى الوسطية.**

المبحث الرابع: **مظاهر العدل في الإسلام.**

المبحث الخامس: **مظاهر الوسطية في الأحكام الشرعية.**

ويحتوى هذا المبحث على سبعة مطالب:

المطلب الأول: وسطية الإسلام في الاعتقاد.

المطلب الثاني: وسطية الإسلام في العبادات والشعائر.

المطلب الثالث: وسطية الإسلام في تشريع الأحكام.

المطلب الرابع: التيسير ورفع الحرج.

المطلب الخامس: الرخص الشرعية.

المطلب السادس: التدرج في التشريع.

المطلب السابع: وسطية الإسلام في المعاملات المالية والعلاقات الاجتماعية والأخلاق

المبحث الأول
مفهوم الوسطية

الوسطية لغة: الوسط: ما له طرفان متساويان القدر، يقال: جلس وسط القوم، أى صار في وسطهم، الوسط بالتحريك المعتدل، يقال شيء وسط أى بين الجيد والردىء، والشجاعة وسط بين التهور والجبن، وعبد وسط وأمة وسط وشيء أوسط، ومنه قوله تعالى ﴿ مِنْ أَوْسَطِ مَا تُطْعِمُونَ ﴾ [1] أى من وسط بمعنى التوسط، ويجمع الوسط على الأواسط، مثل الأفضل والأفاضل، والوسط من كل شيء: أعدله وخيره ومنه قوله تعالى: ﴿ وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَٰكُمْ أُمَّةً وَسَطًا ﴾ [2] أى عدلاً، وواسطة القلادة الجوهر الذى في وسطها وهو أجودها [3].

من التعريف اللغوى نستخلص المعاني اللغوية لكلمة الوسطية.

الأول (وسِْط) بسكون السين ظرف بمعنى بين، كما تقول جلست وسط القوم أي بينهم.

الثاني: (وسَط) بفتح السين: وتأتى بعدة معان تأتى بمعنى (عدل)، وتأتى صفة بمعنى(خيار) وأجود وأفضل، فأوسط الشيء أفضله وخياره، وتأتي بمعنى الشيء بين الجيد والردىء. وتأتى إسما لما بين طرفي الشيء.

مفهوم الوسطية في استعمال الشارع: وردت مادة وسط ومشتقاتها مرات عديدة في القرآن الكريم منها قوله تعالى: ﴿ حَٰفِظُواْ عَلَى ٱلصَّلَوَٰتِ وَٱلصَّلَوٰةِ ٱلْوُسْطَىٰ وَقُومُواْ لِلَّهِ قَٰنِتِينَ ﴾. [4]

---

(١) آية: (٨٩) من سورة المائدة.

(٢) آية: (١٤٣) من سورة البقرة.

(٣) لسان العرب مادة وسط ٤٢٧/٧، المصباح المنير للعلامة الفيومى المقرى، مادة وسط ص ٢٥٣، مختار الصحاح للإمام محمد عبد القادر الرازى مادة وسط ص ٧٢٠، معجم لغة الفقهاء د/ محمد رواس قلعجى ص ٣٧٣.

(٤) آية: (٢٣٨) من سورة البقرة.

ومن تفاسير هذه الآية أن المراد بالصلاة الوسطى قيل هي صلاة العصر، وقيل صلاة الظهر، وقيل الصلاة الوسطى صلاة المغرب، وقيل صلاة الصبح.

قال الطبرى ووجه قبيصة بن دؤيب قوله (الوسطى) إلى معنى التوسط الذي يكون صفة للشيء، يكون عدلاً بين الأمرين، كالرجل المعتدل القامة، الذى لا يكون مفرطاً طوله، ولا قصيرة قامته. (١)

وقوله عز وجل في كفارة اليمين: ﴿ فَكَفَّارَتُهُۥٓ إِطۡعَامُ عَشَرَةِ مَسَٰكِينَ مِنۡ أَوۡسَطِ مَا تُطۡعِمُونَ أَهۡلِيكُمۡ أَوۡ كِسۡوَتُهُمۡ أَوۡ تَحۡرِيرُ رَقَبَةٖۖ ﴾.(٢)

قال القرطبى في تفسر هذه الآية: إن الوسط بمعنى الأعلى والخيار، وهو هنا منزلة بين منزلتين، ونصفاً بين طرفين، ومنه الحديث خير الأمور أوسطها.(٣)

وقال ابن عباس: من أعدل ما تطعمون أهليكم، وقال عطاء من أمثل ما تطعمون أهليكم. (٤)

ومنه قوله عز من قائل: ﴿ قَالَ أَوۡسَطُهُمۡ أَلَمۡ أَقُل لَّكُمۡ لَوۡلَا تُسَبِّحُونَ ﴾. (٥)

قال القرطبي: أوسطهم: أى أمثلهم وأعدلهم وأعقلهم وهذا قول مجاهد. (٦)

وقال ابن كير: أوسطهم أعدلهم وخيرهم وهو قول ابن عباس ومجاهد والضحاك. وقيل: أعقلهم وأفضلهم رأياً. (٧)

ويقول ابن كثير في قوله تعالى: ﴿ وَكَذَٰلِكَ جَعَلۡنَٰكُمۡ أُمَّةٗ وَسَطٗا ﴾.(٨)

يقول الله تعالى إنما حولناكم إلى قبلة إبراهيم عليه السلام، واخترناها لكم لنجعلكم خيار الأمم لتكونوا يوم القيامة شهداء على الأمم، لأن الجميع معترفون

(١) جامع البيان في تفسير القرآن للطبرى ٨٢٠/٢.
(٢) آية: (٨٩) من سورة المائدة.
(٣) الجامع لأحكام القرآن للقرطبي ٢٣٦٨/٣.
(٤) تفسير ابن كثير للصابونى ٥٤٣/١.
(٥) آية: (٢٨) من سورة القلم.
(٦) الجامع لأحكام القرآن للقرطبى المجلد العاشر ص ٦٩٧١.
(٧) تفسير ابن كثير للصابونى ٥٣٦/٣.
(٨) آية: (١٤٣) من سورة البقرة.

لكم بالفضل، والوسط هنا: الخيار والأجود، وكان رسول الله ﷺ وسطاً في قومه، أى أشرفهم نسباً، ومنه (الصلاة الوسطى) وهي العصر، ولما جعل الله هذه الأمة وسطاً خصها بأكمل الشرائع، وأقوم المناهج، وقيل الوسط هو العدل. (١)

ومعنى الأمة الوسط إنها أفضل الأمم وأعدلها وأكملها وأبعدها عن الغلو، فمثل هذه الأمة تحميها وسطيتها.

وعرف د/ القرضاوي الوسطية: بأنها التوسط أو التعادل بين طرفين متقابلين أو متضادين، بحيث لا ينفرد أحدهما بالتأثير ويطرد الطرف المقابل، ولا يأخذ أحد الطرفين أكثر من حقه ويطغى على مقابله ويحيف عليه.

ومثال الأطراف المتقابلة أو المتضادة: الربانية والإنسانية، الروحية والمادية، الأخروية والدنيوية، الوحى والعقل، الماضوية والمستقبلية، الفردية والجماعية، الواقعية والمثالية، الثبات والتغيير، وما شابهها.

ومعنى التوازن بينها: أن يفسح لكل طرف مجاله، ويعطى حقه (بالقسط) أو (بالقسطاس المستقيم) بلا وكس ولا شطط ولا غلو ولا تقصير، ولا طغيان ولا إخسار، كما أشار إلى ذلك كتاب الله تعالى بقوله: ﴿ وَٱلسَّمَآءَ رَفَعَهَا وَوَضَعَ ٱلْمِيزَانَ ۝٧ أَلَّا تَطْغَوْا۟ فِى ٱلْمِيزَانِ ۝٨ وَأَقِيمُوا۟ ٱلْوَزْنَ بِٱلْقِسْطِ وَلَا تُخْسِرُوا۟ ٱلْمِيزَانَ ﴾.(٢)، فالوسطية هى التى تقيم الوزن بالقسط فلا طغيان ولا إخسار.

عجز الإنسان عن إنشاء نظام متوازن:

هذا التوازن العادل في الحقيقة أكبر من أن يقدر عليه الإنسان، بعقله المحدود وعلمه القاصر، فضلا عن تأثير ميوله، ونزعاته الشخصية، والأسرية والحزبية، والإقليمية والعنصرية، وغلبتها عليه من حيث يشعر أو لا يشعر.

ولهذا لا يخلو منهج أو نظام يضعه بشر – فرد أو جماعة – من الإفراط أو التفريط، كما يدل على ذلك استقراء وقراءة التاريخ.

---

(١) الجامع لأحكام القرآن للقرطبى المجلد الأول ص ٦٤٣، تفسير ابن كثير للصابونى ١٣٦/١.

(٢) الآيات: (٧-٩) من سورة الرحمن.

إن القادر على إعطاء كل شيء في الوجود مادياً كان أو معنوياً – حقه بحساب وميزان، هو الله الذى خلق كل شيء فقدره تقديراً، وأحاط بكل شيء خبراً، وأحصى كل شيء عدداً، ووسع كل شيء رحمة وعلماً.

ولا عجب أن نرى هذا التوازن الدقيق في خلق الله، وفي أمر الله جميعاً فهو صاحب الخلق والأمر فظاهرة التوازن تبدو فيما أمر الله به، وشرعه من الهدى ودين الحق، أى: في نظام الإسلام ومنهجه للحياة، كما تبدو في هذا الكون الذي أبدعته يد الله فأتقنت فيه كل شيء.

ظاهرة التوازن في الكون كله: ولننظر إلى هذا العالم من حولنا فنجد الليل والنهار، النور والظلام، الحرارة والبرودة، الماء واليابس، والغازات المختلفة كلها بقدر وميزان وحساب، لا يطغى شيء منها على مقابله، ولا يخرج عن حده المقدر له.

وكذلك الشمس والقمر والنجوم والمجموعات الكونية في فضاء الله الفسيح، فإن كلاً منها يسبح في مداره،ويدور في فلكه، دون أن يصدم غيره، أو يخرج عن دائرته، وصدق الله العظيم إذ يقول: ﴿ إِنَّا كُلَّ شَيْءٍ خَلَقْنَاهُ بِقَدَرٍ ﴾ (١) وقوله ﷻ: ﴿ مَّا تَرَىٰ فِي خَلْقِ ٱلرَّحْمَٰنِ مِن تَفَٰوُتٍ ﴾ (٢) وقوله عز من قائل: ﴿ لَا ٱلشَّمْسُ يَنۢبَغِي لَهَآ أَن تُدْرِكَ ٱلْقَمَرَ وَلَا ٱلَّيْلُ سَابِقُ ٱلنَّهَارِ ۚ وَكُلٌّ فِي فَلَكٍ يَسْبَحُونَ. (٣)

والإسلام يريد من الأمة المسلمة أن تعكس ظاهرة التوازن الكونية في حياتها وفكرها وسلوكها فتتميز عن سائر الأمم.

وإلى هذه الخصيصة البارزة يشير قوله تعالى مخاطباً أمة الإسلام: ﴿ وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَٰكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِّتَكُونُوا۟ شُهَدَآءَ عَلَى ٱلنَّاسِ وَيَكُونَ ٱلرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًا ﴾. (٤)

---

(١) آية: (٤٩) من سورة القمر.
(٢) آية: (٣) من سورة الملك.
(٣) آية: (٤٠) من سورة يس.
(١) آية: (١٤٣) من سورة البقرة.

ووسطية الأمة الإسلامية إنما هي مستمدة من وسطية منهجها فهو منهج وسط لأمة وسط، منهج الاعتدال والتوازن الذي سلم من الإفراط والتفريط. (١)

ويعرف الدكتور وهبة الزحيلى: الوسطية (٢) بأنها الاعتدال في الاعتقاد والموقف والسلوك والنظام والمعاملة والأخلاق، وهذا يعنى أن الإسلام بالذات دين معتدل غير جانح ولا مفرط في شيء من الحقائق، فليس فيه مغالاة في الدين، ولا تطرف في الاعتقاد، ولا تهاون ولا تقصير، ولا استكبار ولا خنوع أو ذل أو استسلام وخضوع وعبودية لغير الله تعالى، ولا حقوق الناس، وهو معنى الصلاح والاستقامة.

والوسطية: تعنى الاعتراف بالحرية للآخرين، ولا سيما الحرية الدينية وهو ما شرعه الإسلام في قوله تعالى: ﴿ لَآ إِكۡرَاهَ فِي ٱلدِّينِۖ قَد تَّبَيَّنَ ٱلرُّشۡدُ مِنَ ٱلۡغَيِّۚ ﴾. (٣)

والوسطية يراد بها تصفية النفس من الأحقاد وإضمار العداوة للآخرين، والكراهية والبغضاء، لأن الناس كلهم خلق الله تعالى، واقتضت حكمة الله أن يكون فيهم المؤمن والكافر، البر والشقى، العادل والظالم، ونحو ذلك من الأوصاف المتضادة والسمات المتعارضة وهو معنى قوله تعالى: ﴿ وَلَوۡ شَآءَ رَبُّكَ لَأٓمَنَ مَن فِي ٱلۡأَرۡضِ كُلُّهُمۡ جَمِيعًاۚ أَفَأَنتَ تُكۡرِهُ ٱلنَّاسَ حَتَّىٰ يَكُونُواْ مُؤۡمِنِينَ ﴾. (٤)

ويقول شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله:" فإن الفرقة الناجية أهل السنة والجماعة، يؤمنون بما أخبر الله به في كتابه من غير تحريف ولا تعطيل ولا تكييف ولا تمثيل، بل هم وسط في فرق الأمة، كما أن الأمة هي الوسط في الأمم".

---

(٢) الوسطية ودور الإعلام في إبرازها د/ يوسف القرضاوى بحث مقدم لندوة إقرأ الفقهية الأحد ١٥ أكتوبر ٢٠٠٦ م، الصحوة الإسلامية بين الاختلاف المشروع والتفرق المذموم د/ يوسف القرضاوى ص ٦٦ دار الشروق.

(٣) المعالم والضوابط في مفهوم الوسطية، بحث مقدم إلى مؤتمر الوسطية منهج حياة دولة الكويت ١٣–١٥ من ربيع الآخر ١٤٢٦ هـ الموافق ٢١–٢٣/٥/٢٠٠٥ م، ضمن مجلد قضايا الفقفه والفكر المعاصر للمؤلف ص ٥٧٨ وما بعدها، دار الفكر.

(٤) آية: (٢٥٦) من سورة البقرة.

(٥) آية: (٩٩) من سورة يونس.

ويقول الشاطبى (١): " إن الشريعة جارية في التكليف لمقتضاها على الطريق الوسط العدل، الآخذ من الطرفين بقسط لا ميل فيه، فإذا نظرت إلى كلية شرعية فتأملها تجدها حاملة على التوسط والاعتدال، ورأيت التوسط فيها لائحاً ومسلك الاعتدال واضحاً، وهو الأصل الذي يرجع إليه، والمعقل الذي يلجأ إليه ".

ويقول الإمام العز بن عبد السلام: " وعلى الجملة فالأولى بالمرء ألا يأتى من أقواله وأعماله إلا بما فيه جلب مصلحة، أو درء مفسدة مع الاعتقاد المتوسط بين الغلو والتقصير ".

ويرى الدكتور محمد عمارة: إن الوسطية أخص ما يختص به المنهج الإسلامي فهى عدسته اللاّمه لأشعة ضوءه، وزاوية رؤيته كمنهج، إنها الحق بين باطلين، والعدل بين ظلمين، والاعتدال بين طرفين، وليست هي انعدام الموقف الواضح والمحدد أمام المشكلات كما يظن البسطاء، إنها في الإسلام موقف جديد بين نقيضين متقابلين ليس منبت الصلة عن سماتها، إنما خلافة لهما منحصر في رفضه الانحصار أو الانغلاق على سمات أحدهما، إنه منحصر في رفضه الانحياز المغالى أو غلو الانحياز، وهي تجمع وتؤلف ما يمكن جمعه وتأليفه كنسق غير متنافر، وبهذه الوسطية يكون طوق النجاة من تمزق الانشطارية في المتقابلات المتناقضة والتى حدثت في الأمم الأخرى، فلم تعرف الحضارة الإسلامية تناقضاً بين الروح والجسد، وبين الدنيا والآخرة، بين الدين والدولة، بين الفرد والمجموع، بين الفكر والواقع، بين المقاصد والوسائل، بين الاجتهاد والتقليد، بين الثابت والمتغير، بين الدين والعلم، بينما انشطرت المدنية الغربية إلى مادية ومثالية، منذ جاهليتها اليونانية وحتى نهضتها الحديثة.

وفي ضوء هذا المضمون الإسلامي لمصطلح " الوسطية " وهو المضمون الذي ميزها بوصف الجامعة نقرأ كل الآيات القرآنية التى أشارت إلى هذه الخصيصة من خصائص المنهج الإسلامي، وصفات الأمة الوسط أمة الإسلام منها قوله تعالى: ﴿ وَٱلَّذِينَ إِذَآ أَنفَقُواْ لَمۡ يُسۡرِفُواْ وَلَمۡ يَقۡتُرُواْ وَكَانَ بَيۡنَ ذَٰلِكَ قَوَامٗا ﴾

(١) الموافقات للإمام الشاطبى ٣٧٤/٢، ٣٧٨.

(١) وقوله عز وجل: ﴿ وَءَاتِ ذَا ٱلْقُرْبَىٰ حَقَّهُۥ وَٱلْمِسْكِينَ وَٱبْنَ ٱلسَّبِيلِ وَلَا تُبَذِّرْ تَبْذِيرًا ﴾
(٢) وقوله عز وجل: ﴿ وَلَا تَجْعَلْ يَدَكَ مَغْلُولَةً إِلَىٰ عُنُقِكَ وَلَا تَبْسُطْهَا كُلَّ ٱلْبَسْطِ فَتَقْعُدَ مَلُومًا مَّحْسُورًا ﴾ (٣) وقوله عز وجل ﴿ يُرِيدُ ٱللَّهُ بِكُمُ ٱلْيُسْرَ وَلَا يُرِيدُ بِكُمُ ٱلْعُسْرَ ﴾ (٤)، أى الاعتدال الرافض لغلو الإفراط والتفريط، فلا الرهبانية المسيحية والنسك الأعجمى،ولا الحيوانية الشهوانية والتحلل من التكاليف.(٥)

(١) آية: (٦٧) من سورة الفرقان.
(٢) آية: (٢٦) من سورة الإسراء.
(٣) آية: (٢٩) من سورة الإسراء.
(٤) آية: (١٨٥) من سورة البقرة.
(٥) معالم المنهج الإسلامي د/ محمد عمارة ص ٧٣: ٧٦ بتصرف، الطبعة الأولى ١٤٢٩ هـ – ٢٠٠٨ م دار السلام، وانظر وسطية السلام وواقعيته د/ حسين الترتورى ص ١٠١ ط الأولى، دار ابن الجوزى.

المبحث الثاني
مزايا الوسطية ومعالمها

إن من حكمة الله تعالى أن اختار الوسطية شعاراً مميزاً لهذه الأمة التى هي آخر الأمم، ولهذه الرسالة التى ختم بها الرسالات الإلهية، وبعث بها خاتم الأنبياء رسولاً للناس جميعاً، ورحمة للعالمين، هذه المزايا جعلت هذه الوسطية أليق برسالة الإسلام الخالدة، من ذلك أنها تعنى العدل، والاستقامة، وهي دليل الخيرية، وتمثل الأمان، ودليل القوة، ومركز الوحدة ونقطة التلاقى، وكل هذه المزايا تتجلى واضحة في كل جوانب الإسلام، نظرية وعلمية، تربوية وتشريعية، فالإسلام وسط في الاعتدال والتصور في التعبد والتنسك، وسط في الأخلاق والآداب، وسط في التشريع والنظام. (١)

معالم الوسطية: إن من الضرورى أن لا ندع مفهوم الوسطية مائعاً وهلامياً، يفسره كل من شاء بما شاء، ويدعيه كل فريق لنفسه، زاعماً أن ما يدعو إليه هو الوسطية التى يدعو إليها الداعون، وحتى لا يدعى هذا المنهج (الوسطية) من لا يفقهه ولا يعيه، ولا يخوض فيه كل من هب ودب، بلا علم ولا هدى ولا كتاب منير: لذا كان من الضروري وضع معالم أو ملامح أو ضوابط، تحدد الأصول الفكرية لهذا المنهج، لتكون منارات تهدى من أراد الاهتداء به والسير في ضوئه على نور وبينه تطبيقاً لقوله تعالى: ﴿ أَفَمَن يَمْشِي مُكِبًّا عَلَىٰ وَجْهِهِۦٓ أَهْدَىٰٓ أَمَّن يَمْشِي سَوِيًّا عَلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴾ (٢) من هذه المعالم ما يأتي:

١- الفهم الشمولى التكاملي للإسلام بوصفه: عقيدة وشريعة، علماً وعملاً، عبادة ومعاملة، ثقافة وأخلاقاً، دعوة ودولة، ديناً ودنيا، حضارة وأمة.

٢- الإيمان بمرجعية القرآن الكريم والسنة النبوية للتشريع والتوجيه للحياة الإسلامية: مع ضرورة فهم النصوص الجزئية للقرآن والسنة في ضوء المقاصد الكلية للإسلام وشريعته، ولا يجوز معارضة أحدهما بالأخرى، أو الاكتفاء بالجزئى عن الكلى، أو بالكلى عن الجزئى.

---

(١) الخصائص العامة للإسلام للدكتور يوسف القرضاوى ص ١٢٢.

(٢) آية: (٢٢) من سورة الملك.

٣- الحرص في فهم الإسلام وتعاليمه على الروح والجوهر قبل الشكل والمظهر: ولذا تجب العناية بالظاهر قبل الباطن، وبأعمال القلوب قبل أعمال الجوارح، وبالنية قبل العمل.

٤- احترام العقل والتفكير: والدعوة إلى النظر والتدبر في الآنام والآفاق، وتكوين العقلية العلمية ومقاومة الجمود والتقليد، وإعطاء العقل مكانته في فقه الدين، وفي فهم الكون والحياة، ونفى وجود التعارض بين النقل الصحيح والنقل الصريح، أو بين الوحى الرباني والعقل الإنساني، بل هما نور على نور، على أن لكل منهما حدود لا يجوز أن يتخطاها.

٥- المزج بين الروح والمادة: وبين الدنيا والآخرة بين الربانية والإنسانية، بين حق الله تعالى، وحفظ النفس، وبين الإبداع المادى والسمو الروحى.

٦- دعوة المسلمين بالحكمة والموعظة الحسنة: وحوار المخالفين بالتى هى أحسن، سواء كانوا مخالفين في العقيدة أم مخالفين في المذهب، أم مخالفين في السياسة

٧- التركيز على المبادىء الإنسانية والاجتماعية، مثل: العدل والإحسان والشورى والحرية والكرامة وحقوق الإنسان.

٨- الثبات في الأهداف والغايات: والمرونة في الوسائل والآليات والثبات في الأصول والكليات، والمرونة في الفروع والجزئيات.

٩- تبنى منهج التيسير في الفتوى والتبشير في الدعوة: وإن كان لابد من التشديد فليكن في الأصول لا الفروع.

١٠- الموازنة بين ثوابت الشرع ومتغيرات العصر: وملاحظة أثر تغير الزمان والمكان والحال في تغير الفتوى والدعوة والتعليم.

١١- الجمع بين الولاء للمؤمنين، والتسامح مع الآخرين.

١٢- توعية الأمة بأن الجهاد فرض عين للدفاع عن الوطن من كل سلطان أجنبي.

١٣- التدرج الحكيم في الدعوة والإفتاء: والتعليم والتغيير، والتدرج سنة كونية، وشرعية.

١٤- التعاون بين الفئات الإسلامية في المتفق عليه، والتسامح والحوار في المختلف فيه، والحرص على البناء لا الهدم، وعلى الجمع لا التفريق.
١٥- تأكيد ما جاء به الإسلام من إعطاء المرأة حقوقها ومكانتها وكرامتها، وتحريرها من رواسب عهود التخلف المجافية لحقائق الإسلام، ومن آثار الغزو الفكرى المناقض لمبادىء الإسلام.
١٦- الاعتراف بحقوق الأقليات الدينية، ومعاملتهم بما أوجبه لهم الإسلام من البر والإقساط.
١٧- العناية بأمر الأسرة باعتبارها الدعامة الأولى لقيام المجتمع الصالح.
١٨- احترام حق الشعوب في اختيار حكامها من الأقوياء الأمناء دون تزييف لإرادتها.
١٩- الدعوة إلى تجديد الدين من داخله، وإلى إحياء فريضة الإجتهاد من أهله في محله، سواء كان اجتهاداً انتقائياً أم اجتهادا إنشائياً.
٢٠- الدعوة إلى فقه جديد (الفقه القرآنى والنبوي) فقه سنن الكون، وفقه مقاصد الشرع، وفقه المآلات، وفقه الموازنات، وفقه الأولويات، وفقه الحضارة، وفقه الاختلاف أو الإئتلاف، وفقه الواقع.
٢١- الإشادة بما قدمته أمتنا من منجزات تاريخية بهرت العالم ومن فتوحات في زمن قياسى، وعدم الاكتفاء بالتغنى بأمجاده، بل استلهام الماضى والإرتقاء بالحاضر، واستشراف المستقبل.
٢٢- الانتفاع بأفضل ما في تراثنا الرحب المتنوع من ضبط الفقهاء وتأصيل الأصوليين وحفظ المحدثين، وعقلانية المتكلمين وروحانية المتصوفين، ورواية المؤرخين، ورقة الأدباء والشعراء وتأمل الحكماء، وتجارب العلماء، مع العلم بأن هذا التراث، كله غير معصوم، فهو قابل للنقد والمراجعة والمناقشة والترجيح أو التضعيف ولكن الأمة في مجموعها لا تجتمع على ضلالة. (١)

(١) الوسطية ودور الإعلام في إبرازها د/ يوسف القرضاوى بحث مقدم لندوة إقرأ الفقهية سبتمبر ٢٠٠٦م شعبان ١٤٢٧هـ.

الوسطية مطلباً شرعياً وحضارياً: إن الوسطية حق وخير وعدل، ومطلب شرعى أصيل، ومظهر حضارى رفيع، ليتحقق التكامل والانسجام بين الأوضاع، والتعاون بين الجميع، ويصير الإخاء والإقدام على العمل أساس كل تقدم ورخاء، كما أن حالة الوسطية تؤدي إلى آداء الواجبات وحقوق الله تعالى وحقوق الإنسان، فلا تقصير في واجب، ولا إهدار لحق، ولا تقصير في الأداء، كما أنه لا تظالم أو تناحر ولا صراع أو تناقض غير شريف، ولا تنافس في السلوك والممارسات الاجتماعية، ولا تعقيدات أو أمراض نفسية أو اجتماعية، لأن كل إفراط أو شذوذ يؤدي إلى الإضطراب، وكل تفريط في أداء واجب يكون سبباً في إثارة المنازعات والخصومات، وإغراق المحاكم بالدعاوى وتعطيل الأوقات، وتجميد الأحوال، فالحياة الهادئة لا تصلح بغير توسط في الأمور بين متطلبات الدين وشئون الدنيا والمصالح العامة والخاصة أمر مرهون بتوافر القدرة على إنجاز المهام كلها.

ولقد أرشد القرآن الكريم إلى ظاهرة التوازن في الأشياء والأعمال والقدرات والممارسات القائمة على صحوة الوجدان، وقوة العزيمة، والتمسك بالحق، والتزام العمل الصالح الذي هو سمة المجتمع المتحضر في صورة العصر في قوله تعالى: ﴿ وَٱلۡعَصۡرِ ۝ إِنَّ ٱلۡإِنسَٰنَ لَفِي خُسۡرٍ ۝ إِلَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ وَتَوَاصَوۡاْ بِٱلۡحَقِّ وَتَوَاصَوۡاْ بِٱلصَّبۡرِ ﴾.[1][2]

(٢) الآيات: من (١-٣) من سورة العصر.

(٣) المعالم والضوابط في مفهوم الوسطية د/ وهبة الزحيلى بحث مقدم إلى مؤتمر الوسطية منهج حياة، وزارة الأوقاف – دولة الكويت، ٣-١٥ من ربيع الآخر ١٤٢٦ هـ الموافق ٢١-٢٣/٥/٢٠٠٥ م ضمن مجلد قضايا الفقه والفكر المعاصر للمؤلف ص ٥٨٢ دار الفكر.

المبحث الثالث
حاجة الأمة اليوم إلي الوسطية

إن منهج الوسطية هو حبل النجاة وسفينة الإنقاذ اليوم، لأمتنا العربية والإسلامية من الهلاك والدمار – الذى يهدد حاضرها ومستقبلها.

فكثير من القضايا الفكرية والعملية الكبرى تضيع فيها الحقيقة بين طرفين متباعدين.

الأول: طرف الغلو أو التطرف أو التشدد أو الإفراط، وهذا الطرف هو الذى يُرهق الأمة من أمرها عسراً، ويوقعها في الحرج، ويعسر عليها ما يسر الله، ويعقد ما سهله الدين، ويضيق ما وسعه الشرع، لا يسمح لها برخصة، ولا يتيح لها ما توجبه الضرورة، ولا يعرف الظروف المخففة، ولا يؤمن بتغير الفتوى بتغير الزمان والمكان والحال، ينكفىء على الماضى، ولا يعايش الحاضر، ولا يستشرف المستقبل، أعمق حكمة عنده قول من قال: ما ترك الأول للآخر شىء، وليس في الإمكان أبدع مما كان.

والطرف الآخر: طرف التسيب والتفريط والإضاعة، فلا يكاد يتشبث بعقيدة، أو يتمسك بفريضة، أو يحرم حراماً، الدين عجينة لينة في يديه، ليس فيه ثوابت، بل كل شىء فيه قابل لقراءة جديدة، ما كان ثابتاً يمكن أن يكون منفياً، وما كان منفياً يمكن أن يثبت، وما كان حقاً يمكن أن يصبح باطلاً ن وما كان باطلاً يمكن أن يصبح حقاً.

وهذا يمكن أن يخرج أصحاب القراءات الجديدة للقرآن والسنة بدين جديد، غير الدين الذى علمه الرسول ﷺ للصحابة – رضى الله عنهم –، وعلمه الصحابة للتابعين، ومضى عليه خير قرون الأمة، وتوارثه الخلف عن السلف، والأحفاد عن الأجداد، دين يحرم ما استيقنت الأمة بحله طوال أربعة عشر قرناً، أو يحل ما استيقنت الأمة بحرمته طوال هذه القرون، يمكن أن يغير العقائد، ويبدل القيم، ويسقط الفرائض، ويشرع ما لم يأذن به الله.

وبهذا يمكن أن يكون لكل عصر دين، ولكل بلد دين، بل لكل مجموعة دين، فليس الدين أمراً يجمع الأمة على كلمة سواء، وعلى الاعتصام بحبل الله جميعاً، بل لا يمكن أن تتكون بهذا الدين أمة، لها عقيدة واحدة، وشريعة واحدة، وقيم واحدة، ورسالة واحدة.

بل الدين في هذه الحالة يفرق ولا يجمع، يباعد ولا يقرب، يهدم ولا يبنى لأنه يتعدد بتعدد المتغيرات، والمتغيرات تتناقض بتعدد الثقافات والمؤثرات.

كل ما أصله الراسخون في العلم من أعلام الأمة وأئمتها الكبار في أصول الدين، وأصول الفقه، والتفسير والحديث، كل هذا دبر آذان هؤلاء، لأن لهم أئمة يقلدونهم ويأخذون عنهم، ولا يناقشونهم فيما ذهبوا إليه من دعاوى، في حين يعيبون على من أخذ عن أئمة الأمة، ابتداء من الصحابة، وتابعيهم بإحسان، ومن تخرج على أيديهم من الأئمة الكبار، الذين كانوا مثلاً يحتذى به في طلب العلم وحسن فهمه، وفي تقوى الله، وسوك سبيل الهداية والخير. (١)

(١) الوسطية ودور الإعلام في إبرازها د/ يوسف القرضاوى بحث مقدم لندوة إقرأ الفقهية ٢٠٠٦ م.

المبحث الرابع
مظاهر العدل في الإسلام

العدل: هو إعطاء كل ذى حق حقه، من غير أن يطالب به، وهو ضد الجور والظلم، والعدل من الأسس والقيم التى جاءت بها جميع الشرائع السماوية، فأنزل الله به كتبه وأرسل به رسله، فقد كان الناس قبل البعثة المحمدية منهمكين في الملاذ، يتفاخرون بالأنساب، ويشنون الغارات والحروب لأوهى الأسباب، وكانت الشعوب متفرقة إلى طوائف متنافرة، كل طائفة تعتدى على من دونها، وكان القانون السائد (الحياة للقوى، والموت للضعيف)، فإذا لجأ الضعيف إلى السلطان طالباً العدل والإنصاف وقفت في وجهه الموانع، واعترضته الحواجز من الرشوة والمحاباة فضاع حقه، وباء بالخسران، وعد جانياً مع أنه مظلوم ومعتدى عليه، وحكم عليه بالعقوبة مع أنه برىء ولا ذنب له، حتى انعدم الاطمئنان والاستقرار، وانتشر القلق والاضطراب بين الشعوب والقبائل، بين هذه المظالم وتلك الآلام، سطعت شمس رسول الأنام، محمد الكامل ابن عبد الله ﷺ، وتألق نور الإسلام، نور العدل والمساواة، وأخذ الرسول ﷺ يعالج الفساد، ويزيل المظالم، ويضع قواعد العدالة والمساواة، قواعد تنظم علاقة الإنسان بأخيه الإنسان، وعلاقة الإنسان بالمجتمع، وتنشر الطمأنينة في النفوس الحائرة، والسعادة بين الإنسانية الشقية المعذبة، وتسمو بالأمة الجديدة إلى قمة الخير والمجد تحقيقاً لقوله تعالى: ﴿ كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ ﴾.(١)

مكانة العدل في القرآن: إن أول دعامة وضعها الإسلام في أساس هذا الإصلاح نشر العدل والمساواة بين الأفراد والمجتمعات، وإعطاء كل ذى حق حقه، والمساواة بين الناس في المعاملة، والمسلم أخو المسلم فقال تعالى: ﴿ إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ ﴾ (٢)، فقد كان العدل أول مبدأ قرره الإسلام، عنى به القرآن في

(١) آية: (١١٠) من سورة آل عمران.
(٢) آية: (١٠) من سورة الحجرات

جميع سوره المكية والمدنية، وحذر من الظلم حتى مع الأعداء، يقول تعالى: ﴿ وَلَا يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَـَٔانُ قَوْمٍ عَلَىٰٓ أَلَّا تَعْدِلُوا۟ ٱعْدِلُوا۟ هُوَ أَقْرَبُ لِلتَّقْوَىٰ ﴾.(١)

وقوله عز وجل ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ يَأْمُرُ بِٱلْعَدْلِ وَٱلْإِحْسَـٰنِ ﴾ (٢)، ومن هنا جعل الله العدل واسطة حبات العقد، الذى كون به لرسوله منهج الدعوة الإصلاحية التى حملها إياه، إنقاذاً للبشرية من ظلمات الجهل والبغى والعدوان ﴿ فَلِذَٰلِكَ فَٱدْعُ ۖ وَٱسْتَقِمْ كَمَآ أُمِرْتَ ۖ وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَآءَهُمْ ۖ وَقُلْ ءَامَنتُ بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ مِن كِتَـٰبٍ ۖ وَأُمِرْتُ لِأَعْدِلَ بَيْنَكُمُ ۖ ٱللَّهُ رَبُّنَا وَرَبُّكُمْ ۖ لَنَآ أَعْمَـٰلُنَا وَلَكُمْ أَعْمَـٰلُكُمْ ۖ لَا حُجَّةَ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمُ ۖ ٱللَّهُ يَجْمَعُ بَيْنَنَا ۖ وَإِلَيْهِ ٱلْمَصِيرُ ﴾.(٣)، فقد وضع الله العدل هكذا، وجعل إقراره بين الناس، هو الهدف من بعث الرسل وإنزال الشرائع والأحكام ﴿ لَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلَنَا بِٱلْبَيِّنَـٰتِ وَأَنزَلْنَا مَعَهُمُ ٱلْكِتَـٰبَ وَٱلْمِيزَانَ لِيَقُومَ ٱلنَّاسُ بِٱلْقِسْطِ ۖ وَأَنزَلْنَا ٱلْحَدِيدَ فِيهِ بَأْسٌ شَدِيدٌ وَمَنَـٰفِعُ لِلنَّاسِ ﴾.(٤)

يقول الله تعالى: ولقد أرسلنا رسلنا بالحجج القواطع والمعجزات والبينات، وأنزلنا معهم الكتب السماوية، وأنزلنا القانون الذي يحكم به الناس، وفسر بعض الميزان بالعدل، وقال ابن زيد: ما يوزن به، ليقوم الناس بالحق والعدل في معاملاتهم، وأنزلنا الحديد ليقاتل به المؤمنون أعدائهم ويجاهدوا لإعلاء كلمة الله (٥)

وقد أوصى الرسول ﷺ بأهل الذمة والعهد من غير المسلمين وأوصى بأقباط مصر، فقال: " استوصوا بالقبط خيراً، فإن لهم ذمة ورحماً " ورحمهم أن أم إسماعيل منهم.

العدالة الإلهية: وتتمثل في عدل الله تعالى في حكمه إنه لا يظلم أحداً شيئاً ولو مقدار ذرة، وإن الحسنة يزيد في جزاءها إلى عشرة أمثالها ويعط من عنده

(١) آية: (٨) من سورة المائدة.
(٢) آية: (٩٠) من سورة النحل.
(٣) آية: (١٥) من سورة الشورى.
(٤) آية: (٢٥) من سورة الحديد.
(٥) صفوة التفاسير للصابونى ٣/٨٤.

مع المضاعفة أجراً عظيماً، يقول الله تعالى ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَظْلِمُ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ ۖ وَإِن تَكُ حَسَنَةً يُضَٰعِفْهَا وَيُؤْتِ مِن لَّدُنْهُ أَجْرًا عَظِيمًا ﴾. (١)

المداومة على العدل: أمر الله تعالى المؤمنين بالعدالة والمداومة عليها في جميع الأمور، شهداء بالحق لوجه الله تعالى لا لغرض دنيوى، ولو كانت الشهادة على النفس أو الأقربين في قوله تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ كُونُوا۟ قَوَّٰمِينَ بِٱلْقِسْطِ شُهَدَآءَ لِلَّهِ وَلَوْ عَلَىٰٓ أَنفُسِكُمْ أَوِ ٱلْوَٰلِدَيْنِ وَٱلْأَقْرَبِينَ ۚ إِن يَكُنْ غَنِيًّا أَوْ فَقِيرًا فَٱللَّهُ أَوْلَىٰ بِهِمَا ۖ فَلَا تَتَّبِعُوا۟ ٱلْهَوَىٰٓ أَن تَعْدِلُوا۟ ۚ وَإِن تَلْوُۥٓا۟ أَوْ تُعْرِضُوا۟ فَإِنَّ ٱللَّهَ كَانَ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرًا ﴾. (٢)

العدل في رد الأمانات: والعدل في تطبيق العقوبة ومبدأ الدفاع عن النفس في قوله تعالى: ﴿ فَمَنِ ٱعْتَدَىٰ عَلَيْكُمْ فَٱعْتَدُوا۟ عَلَيْهِ بِمِثْلِ مَا ٱعْتَدَىٰ عَلَيْكُمْ ۚ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلْمُتَّقِينَ ﴾. (٣) ثم أمر المؤمنين عند إرادة العقاب بعدم التعدى إلا بمثل ما اعتدى الجانى وحثهم على الصبر وبأن ذلك خير من رد العقوبة في قوله تعالى ﴿ وَإِنْ عَاقَبْتُمْ فَعَاقِبُوا۟ بِمِثْلِ مَا عُوقِبْتُم بِهِۦ ۖ وَلَئِن صَبَرْتُمْ لَهُوَ خَيْرٌ لِّلصَّٰبِرِينَ ﴿١٢٦﴾ وَٱصْبِرْ وَمَا صَبْرُكَ إِلَّا بِٱللَّهِ ۚ وَلَا تَحْزَنْ عَلَيْهِمْ وَلَا تَكُ فِى ضَيْقٍ مِّمَّا يَمْكُرُونَ ﴿١٢٧﴾ إِنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلَّذِينَ ٱتَّقَوا۟ وَّٱلَّذِينَ هُم مُّحْسِنُونَ ﴾. (٤)

العفو عن المعتدى: مع أن الإسلام أقر مبدأ الدفاع عن النفس، ومقابلة الإعتداء بمثله، حث على العفو عن المعتدى والصفح عنه عند القدرة على الاستيفاء، فضرب بذلك مثلاً سامياً للمروءة الإنسانية والنبل الإسلامي في قوله تعالى: ﴿ وَلْيَعْفُوا۟ وَلْيَصْفَحُوٓا۟ ۗ أَلَا تُحِبُّونَ أَن يَغْفِرَ ٱللَّهُ لَكُمْ ۗ وَٱللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴾. (٥)
وقال ﷻ : ﴿ ٱدْفَعْ بِٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ ٱلسَّيِّئَةَ ۚ ﴾. (٦)

---

(١) آية: (٤٠) من سورة النساء.
(٢) آية: (١٣٥) من سورة النساء.
(٣) آية: (١٩٤) من سورة البقرة.
(٤) الآيات: (١٢٦-١٢٨) من سورة النحل.
(٥) آية: (٢٢) من سورة النور.
(٦) آية: (٩٦) من سورة المؤمنون.

وتتجلى عدالة الإسلام عند الحكم والقضاء، والمساواة في الحقوق والواجبات، والشورى في القضايا العامة، ومنع الظلم والتعدى والاستبداد والاحتكام إلى شرع الله فيما تقرر في القرآن الكريم والسنة النبوية الصحيحة.(١)

ومما لا شك فيه أن ملازمة هذه الخصائص وتفعيلها ومراعاتها في مجال التطبيق يحمى الأمة من كل آفات الانحراف والضياع والضعف والتفكك والتفرقة، ويجعل الأمة قوية رصينه، تحمى الحمى، وتدفع الأعداء وتمحو مظاهر التخلف، وتبنى الحضارة الجامعة للمادة والروح، على أساس من التفوق العلمى والصناعى والتقنى، ولا شك أن تطبيق كل هذه المقومات هو منهج الوسطية والاستقرار والبعد عن كل أسباب الاضطراب والمشكلات الخاصة والعامة ولنا في رسول الله ﷺ وأصحابة والتابعين الأسوة الحسنة في العدل والتواضع والوسطية. كأبي بكر وعمر وعثمان وعلى وعبد الله بن عمر، وعمر بن عبد العزيز – رضى الله عنهم جميعاً – ومن بعدهم ما يتحقق به منهج العدل والوسطية في الإسلام.

(١) الإسلام عقيد وشريعة الإمام محمود شلتوت ص ٤٤٤ بتصرف، عظمة الإسلام، د/ محمد عطية الإبراشى ص ٩٤ بتصرف، العدالة الاجتماعية أ. سيد قطب ص ٣٣، روح الإسلام محمد عطية الإبراشى ص ٢١١ وما بعدها.

المبحث الخامس
مظاهر الوسطية في الأحكام الشرعية

ويحتوى هذا المبحث على سبعة مطالب:

المطلب الأول: وسطية الإسلام في الاعتقاد.

المطلب الثاني: وسطية الإسلام في العبادات والشعائر.

المطلب الثالث: وسطية الإسلام في تشريع الأحكام.

المطلب الرابع: التيسير ورفع الحرج.

المطلب الخامس: الرخص الشرعية.

المطلب السادس: التدرج في التشريع.

المطلب السابع: وسطية الإسلام في المعاملات المالية والعلاقات الاجتماعية والأخلاق.

المطلب الأول: وسطية الإسلام في الاعتقاد:

١- **الإسلام وسط بين الملاحدة الذين لا يؤمنون بإله وبين الذين يعددون الآلهة فجاء الإسلام وسط في العقيدة**، قال تعالى: ﴿ قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ ۝ ٱللَّهُ ٱلصَّمَدُ ۝ لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ ۝ وَلَمْ يَكُن لَّهُۥ كُفُوًا أَحَدٌۢ ۝ ﴾ (١) وقال عز وجل: ﴿ وَقَضَىٰ رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوٓاْ إِلَّآ إِيَّاهُ وَبِٱلْوَٰلِدَيْنِ إِحْسَٰنًا ﴾ (٢) وقال عز من قائل: ﴿ قُلْ يَٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ تَعَالَوْاْ إِلَىٰ كَلِمَةٍ سَوَآءٍۭ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ أَلَّا نَعْبُدَ إِلَّا ٱللَّهَ وَلَا نُشْرِكَ بِهِۦ شَيْـًٔا وَلَا يَتَّخِذَ بَعْضُنَا بَعْضًا أَرْبَابًا مِّن دُونِ ٱللَّهِ ۚ فَإِن تَوَلَّوْاْ فَقُولُواْ ٱشْهَدُواْ بِأَنَّا مُسْلِمُونَ ﴾ (٣) وقوله تعالى: ﴿ يَٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ لَا تَغْلُواْ فِى دِينِكُمْ وَلَا تَقُولُواْ عَلَى ٱللَّهِ إِلَّا ٱلْحَقَّ ﴾.(٤) فالإسلام يدعو إلى الإيمان بإله واحد لا شريك له، لم يلد ولم يولد، ولم يكن له كفوا أحد، وكل من عداه وما عداه مخلوقات لا تملك ضرراً ولا نفعاً، ولا موتاً ولا حياة ولا نشوراً فتأليههما شرك وظلم وضلال مبين يقول جل شأنه ﴿ وَمَنْ أَضَلُّ مِمَّن يَدْعُواْ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَن لَّا يَسْتَجِيبُ لَهُۥٓ إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ وَهُمْ عَن دُعَآئِهِمْ غَٰفِلُونَ ﴾.(٥)

٢- **الإسلام وسط في الاعتقاد بين الخرافيين الذين يسرفون في الاعتقاد، فيصدقون بكل شيء ويؤمنون بغير برهان، وبين الماديين الذين ينكرون كل ما وراء الحس، ولا يستمعون لصوت الفطرة ولا نداء العقل.**

فإذا تأملنا التوراة بعد تحريفها لوجدنا تقديس المادة غلب على بنودها، فلا تقرأ في أسفار التوراة ذكر للآخرة، حتى ما ورد فيها من وعد ووعيد فإنما هو متعلق بالدنيا فقط فلا يعمل الشخص إلا لتحقيق كسب عاجل، أو خوفاً من عقوبة عاجلة، بل بالغوا وطبقوا ماديتهم حتى في معرفة الله فقالوا ﴿ أَرِنَا ٱللَّهَ جَهْرَةً ﴾. (٦)

---

(١) الآيات: (١-٤) من سورة الإخلاص.
(٢) آية: (٢٣) من سورة الإسراء.
(٣) آية: (٦٤) من سورة آل عمران
(٤) آية: (١٧١) من سورة النساء.
(٥) آية: (٥) من سورة الأحقاف.
(٦) من الآية: (١٥٣) من سورة النساء.

وقوله تعالى: ﴿ وَإِذْ قُلْتُمْ يَـٰمُوسَىٰ لَن نُّؤْمِنَ لَكَ حَتَّىٰ نَرَى ٱللَّهَ جَهْرَةً ﴾.(١)

ووفقاً لهذا التصور المادى الدنيوى أغرق هؤلاء في تقدير المحسوسات واتخذوها طريقاً للرقى، وأصبحت القيم المادية محور الحياة، وتحول الإنسان في نظر هؤلاء إلى آلة تتحرك، ومعدة تهضم، وكائن يلهو، وقد وصفهم القرآن الكريم، وبين مدى تعلقهم بالحياة الدنيا وحرصهم عليها فقال تعالى: ﴿ وَلَتَجِدَنَّهُمْ أَحْرَصَ ٱلنَّاسِ عَلَىٰ حَيَوٰةٍ ﴾ (٢)، أىّ حياة، حتى لو كانت حياة الحيوانات ونحوها، وذلك لأنهم يخشو الموت،: ﴿ وَلَن يَتَمَنَّوْهُ أَبَدًا ﴾. (٣)

لأنهم ربطوا غايتهم بالدنيا' فإذا انتهت فقد فاتهم كل شىء، فهم كمشركى قريش الذين قالوا: ﴿ مَا هِىَ إِلَّا حَيَاتُنَا ٱلدُّنْيَا نَمُوتُ وَنَحْيَا وَمَا يُهْلِكُنَآ إِلَّا ٱلدَّهْرُ ﴾ (٤)، وهذا المنهج يمثل التفريط في أسوأ صوره وحالاته، ولذلك أمرنا الله تعالى أن نستعيذ منه في كل صلاة ونسأله أن يعيننا إياه ﴿ غَيْرِ ٱلْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ ﴾ (٥)، فالإسلام يحذر من تطرف كلا الفريقين، ويحث المسلم أن يلتزم بالمنهج الوسط أو الصراط المستقيم الذي سار عليه كل من رضى الله عنهم وأنعم عليهم من النبيين والصديقين والشهداء والصالحين، فالإسلام يدعو إلى الاعتقاد والإيمان، ولكن بما قام عليه الدليل القطعى، والبرهان اليقينى، وما عدا ذلك يرفضه ويعده من الأوهام وشعاره دائماً: ﴿ قُلْ هَاتُوا۟ بُرْهَـٰنَكُمْ إِن كُنتُمْ صَـٰدِقِينَ ﴾. (٦)(٧)

٣- الإسلام وسط بين الذين يعتبرون الكون هو الوجود الحق وحده، وما عداه مما لا تراه العين، ولا تلمسه اليد خرافة ووهماً، وهم الماديون الذين ينكرون كل ما وراء الحس، وبين الذين يعتبرون الكون وهماً لا حقيقة له،

(١) من الآية: (٥٥) من سورة البقرة.
(٢) آية: (٩٦) من سورة البقرة.
(٣) آية: (٩٥) من سورة البقرة.
(٤) آية: (٢٤) من سورة الجاثية.
(٥) آية: (٧) من سورة الفاتحة.
(٦) آية: (١١١) من سورة البقرة.
(٧) الوسطية في القرآن الكريم د/ على الصلابى ص ٢٩٨ وما بعدها الطبعة الأولى ٢٠٠٧ م – ١٤٢٨ هـ – دار ابن الجوزى.

وسراباً بقيعة يحسبه الظمآن ماءً، حتى إذا جاءه لم يجده شيئاً، فليس هناك إلا وجود واحد هو الله، ولا شيء غيره، وهم القائلون بوحدة الوجود.

فالإسلام يعتبر وجود الكون حقيقة لا ريب فيها، ولكنه يعبر من هذه الحقيقة إلى حقيقة أكبر منها، وهي من كون هذا الكون ودبر أمره، لا ريب أنه هو الله جلت قدرته ﴿ إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاخْتِلَافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ لَآيَاتٍ لِأُولِي الْأَلْبَابِ ۝١٩٠ الَّذِينَ يَذْكُرُونَ اللَّهَ قِيَامًا وَقُعُودًا وَعَلَىٰ جُنُوبِهِمْ وَيَتَفَكَّرُونَ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ رَبَّنَا مَا خَلَقْتَ هَٰذَا بَاطِلًا سُبْحَانَكَ فَقِنَا عَذَابَ النَّارِ ﴾. (١)

٤- كذلك توسطت العقيدة الإسلامية بين الذين يؤلهون الإنسان، ويعتبرونه إله نفسه، يفعل ما يشاء ويحكم ما يريد، وبين الذين جعلوه أسير جبرية اقتصادية أو اجتماعية أو دينية فهو كريشة في مهب الريح، أو كدمية يحرك خيوطها المجتمع، أو الاقتصاد أو القدر.

أما الإنسان في نظر الإسلام فهو مخلوق مكلف مسؤول سيد في الكون، عبد لله، قادر على تغيير ما حوله بقدر ما يغير ما بنفسه لقوله تعالى ﴿ إِنَّ اللَّهَ لَا يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّىٰ يُغَيِّرُوا مَا بِأَنْفُسِهِمْ ﴾. (٢)(٣)

٥- المسلمون وسط في أنبياء الله تعالى ورسله وعباده الصالحين: فهم لم يغلو فيهم غلو البوذيين وغلو النصارى الذين اتخذوا أحبارهم ورهبانهم أرباباً من دون الله والمسيح ابن مريم، ولاجفوا عنهم كما جفت اليهود فكانوا يقتلون الأنبياء بغير حق، ويقتلون الذين يأمرون بالقسط من الناس، وكلما جاءهم رسول بما لا تهوى أنفسهم كذبوا فريقاً وقتلوا فريقاً، وكذبوا على ربهم، بل المؤمنون المسلمون: آمنوا برسل الله تعالى جميعاً، وعزروهم ووقروهم، أحبوهم وأطاعوهم، ولم يعبدوهم ولم يتخذوهم أرباباً من دون الله، كما آمنوا

(١) آية: (١٩٠-١٩١) من سورة آل عمران.
(٢) آية: (١١) من سورة الرعد.
(٣) الوسطية ودور الإعلام في إبرازها د/ يوسف القرضاوي.

بجميع الكتب المنزلة على الرسل والأنبياء، فكان ذلك وسطية وتوازناً بين أمرين مذمومين ". (١)

٦- **الإسلام وسط بين الذين يؤمنون بالعقل وحده مصدراً لمعرفة حقائق الوجود، وبين الذين لا يؤمنون إلا بالوحى والإلهام، ولا يعترفون للعقل بدور في نفى أو إثبات،** فالإسلام يؤمن بالعقل، ويدعوه للنظر والتفكير، وينكر عليه الجمود والتقليد ويخاطبه بالأوامر والنواهى، ويعتمد عليه في إثبات أعظم حقيقتين في الوجود، وهما: وجود الله تعالى، وصدق دعوى النبوة، ولكنه يؤمن بالوحى مكملاً للعقل ومعيناً له فيما تصل فيه العقول وتختلف، وما تغلب عليه الأهواء، وهادياً له إلى ما ليس من اختصاصه ولا هو في مقدوره، من الغيبيات والسمعيات وطرائق التعبد لله.

فالإيمان الصحيح منطلق كل عمل مثمر، وقاعدة الأعمال الصالحة، وأصول الإيمان الستة: " الإيمان بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر والقدر خيره وشره " تتآزر مع بعضها البعض لتحقيق بناء شخصية المؤمن، وتكامل الذات، والتوصل إلى الغايات السامية والنفعية، في عالم الدنيا والآخرة.

وقمة الإيمان: الإقرار بوجود الله تعالى وتوحيده، لأنه الخالق الرازق والمهيمن على شئون الكون، ومرجع الحساب والثواب في الآخرة، مما يزرع في النفس إجلال الذات الإلهية ووجوب إرضاء الله وطاعته، والخوف من مخالفة أوامره ونواهيه، وكذا محبته وشكره وعبادته.

وعقيدة المؤمن في شريعة الإسلام بسيطة غير معقدة، سهلة الفهم، تتقبلها العقول بسرعة، وتريح النفس، وتحقق لها الطمأنينة وتجنبها القلق والإضطراب، وتعينها على تجاوز مشكلات الحياة وتقلباتها، بما فيها من خير وشر، وعز وذل، وغنى وفقر، وصحة ومرض، وقوى وضعف، ومتعة ولذة وحرمان، وسلام وآمان وحرب وخوف، وغير ذلك من ظواهر الحياة الاجتماعية والإنسانية.

---

(١) الخصائص العامة للإسلام د/ يوسف القرضاوى ص ١٢٢، وسطية الإسلام والأمة المسلمة مجلة البيان عدد ١٦٧ في ٢٠٠١/١٠/١.

ومن يحرم أصول الإيمان هذه يتعرض لكثير من الهزات والأزمات، فيقدم على الانتحار أحياناً، أو يتعرض للقلق والاضطراب، والوقوع فريسة الأهواء والجهالة والغموض، والعمل دون هدف نبيل، ويكون أشبه بالهائم في الأرض، لا يدرى فهم حقائق البدء والمسيرة والانتهاء.

فيكون الإيمان بحسب أصول الإسلام طريق إسعاد وإنقاذ ونجاة وفلاح وعمران وبناء وسمعة عالية وأثر عميق في التاريخ، وكل ذلك بفضل بساطة العقيدة الإسلامية ووسطية مفاهيمها ومداركها وغاياتها.

ومن أهم مظاهر عقيدتنا ووسطيتها، تقرير حرية الإنسان في اختيار أفعاله ومسؤوليته عن أعماله، في مظلة من القيود أو النواميس الكونية لا يستطيع اختراقها كالحياة والموت، والإقامة والارتحال، والقوة والضعف، والعز والذل، وكل ميسر لما خلق له، في نطاق المشيئة والإرادة الإلهية.

فليس الإنسان مجبوراً ظاهراً وباطناً، ولا خالقاً لأفعاله، من غير تدخل خلق الله وإيجاده لقوله تعالى: ﴿ وَٱللَّهُ خَلَقَكُمْ وَمَا تَعْمَلُونَ ﴾.(١)

ويوضح ذلك فيما يفعله الإنسان فهو مباشر للفعل بإرادته وحريته، والله يهيء له أسباب المباشرة، ويحقق له نتائج العمل، وينسب الله له فضيلة هذا العمل، ويمنحه القوة والعون على فعله، وله الثواب في الطاعة، وعليه العقاب في المعصية أو المخالفة وهذا معنى قوله تعالى: ﴿ وَمَا رَمَيْتَ إِذْ رَمَيْتَ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ رَمَىٰ ﴾. (٢)

وقوله سبحانه: ﴿ وَمَا ٱلنَّصْرُ إِلَّا مِنْ عِندِ ٱللَّهِ ٱلْعَزِيزِ ٱلْحَكِيمِ ﴾. (٣)

ويقول سبحانه ﴿ إِن يَنصُرْكُمُ ٱللَّهُ فَلَا غَالِبَ لَكُمْ وَإِن يَخْذُلْكُمْ فَمَن ذَا ٱلَّذِى يَنصُرُكُم مِّنۢ بَعْدِهِۦ ﴾. (٤)

وندرك أيضاً سر العمل وجدواه في الدنيا التى هي دار امتحان واختبار، ثم نهاية العمر أو الموت، وتحمل مسئولية التكاليف الإلهية والحساب عليها في

(١) آية: (٩٦) من سورة الصافات.
(٢) آية: (١٧) من سورة الأنفال.
(٣) آية: (١٢٦) من سورة آل عمران.
(٤) آية: (١٦٠) من سورة آل عمران.

الآخرة، وفي ذلك خير للفرد والجماعة، وكل ذلك مرتبط بحكمة إلهية عميقة ودقيقة، وإلا كان الوجود في الدنيا نقمة أو عبثاً أو ضياعاً، والله منزه عن العبث، وعن الوجود الإنساني من غير هدف، وهذا ما قرره القرآن الكريم في قوله تعالى: ﴿ أَفَحَسِبْتُمْ أَنَّمَا خَلَقْنَاكُمْ عَبَثًا وَأَنَّكُمْ إِلَيْنَا لَا تُرْجَعُونَ ﴾. (١)

لذا بادر أهل الحكمة والفكر والعلم والاعتدال إلى الاعتقاد بما جاء في قوله تعالى: ﴿ شَهِدَ اللَّهُ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ وَالْمَلَائِكَةُ وَأُولُوا الْعِلْمِ قَائِمًا بِالْقِسْطِ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴾. (٢)

وقد تضافرت الآيات القرآنية على التنديد بالشرك والمشركين مثل قوله تعالى: ﴿ أَيُشْرِكُونَ مَا لَا يَخْلُقُ شَيْئًا وَهُمْ يُخْلَقُونَ ﴾. (٣) وقوله: ﴿ عَالِمِ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ فَتَعَالَىٰ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴾. (٤)

وأكدت السنة الإقرار بالوحدانية ووجوب الشهادة بتوحيد الله والإيمان برسوله خاتم الأنبياء في أحاديث كثيرة منها ما روى عن عبد الله بن عمر – رضى الله عنهما – أن النبي ﷺ قال: " بنى الإسلام على خمس شهادة أن لا إله إلا الله، وأن محمد رسول الله " الحديث(٥)، ومنها ما روى عن عبادة بن الصامت – رضي الله عنه – قال: قال رسول الله ﷺ: " من شهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأن محمداً عبده ورسوله، وأن عيسى عبد الله وابن أمته، وكلمته ألقاها إلى مريم، وروح منه، وأن الجنة حق وأن النار حق، أدخله الله من أى أبواب الجنة الثمانية شاء ". (٦) (٧)

---

(١) آية: (١١٥) من سورة المؤمنون.
(٢) آية: (١٨) من سورة آل عمران.
(٣) آية: (١٩١) من سورة الأعراف.
(٤) آية: (٩٢) من سورة المؤمنون.
(٥) أخرجه البخارى في صحيحه كتاب الإيمان، باب الإيمان ٩/١، أخرجه مسلم في صحيحه كتاب الإيمان، باب بيان أركان الإسلام ودعائمة العظام ٤٥/١ رقم (١٦).
(٦) أخرجه مسلم في صحيحه كتاب الإيمان، باب الدليل على أن من مات على التوحيد دخل الجنة قطعاً.
(٧) وسطيه الإسلام وسماحته ودعوته للحوار د/ وهبة الزحيلى بحث مقدم إلى المؤتمر العالمى عن موقف الإسلام من الإرهاب والتطرف – جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية بحث ضمن مجلد قضايا الفقه والفكر المعاصر ص ٥٥٣.

المطلب الثاني: **وسطية الإسلام في العبادات والشعائر**:

تقرير القرآن لمنهج الوسطية في العبادة:

إذا تدبرنا القرآن الكريم لوجدنا تقرير القرآن لمنهج الوسطية في العبادة في آيات كثيرة منها:

أولاً: آيات تبين انحراف أولئك الذين صرفوا العبادة عن وجهها الصحيح: ومنها قوله تعالى: ﴿ قُلْ أَفَغَيْرَ ٱللَّهِ تَأْمُرُوٓنِّيٓ أَعْبُدُ أَيُّهَا ٱلْجَٰهِلُونَ ﴾. (١)

وقوله تعالى: ﴿ قُلْ أَتَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَا لَا يَمْلِكُ لَكُمْ ضَرًّا وَلَا نَفْعًا ۚ وَٱللَّهُ هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ ﴾. (٢)

ومن ذلك قوله تعالى: ﴿ وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَعْبُدُ ٱللَّهَ عَلَىٰ حَرْفٍ ۖ فَإِنْ أَصَابَهُۥ خَيْرٌ ٱطْمَأَنَّ بِهِۦ ۖ وَإِنْ أَصَابَتْهُ فِتْنَةٌ ٱنقَلَبَ عَلَىٰ وَجْهِهِۦ خَسِرَ ٱلدُّنْيَا وَٱلْءَاخِرَةَ ۚ ذَٰلِكَ هُوَ ٱلْخُسْرَانُ ٱلْمُبِينُ ﴾. (٣)

فقد بينت هذه الآيات منهج الوسطية في العبادة ببيان انحراف طريقة هؤلاء الذين قلبوا العبادة عن وجهها الصحيح.

قال القرطبى في تفسير الآية: إن قوله تعالى: "على حرف" أى على شك، قاله مجاهد وغيره، وحقيقته أنه على ضعف في عبادته، لضعف القائم على حرف مضطرب فيه، وحرف كل شيء طرفه وشفيره وحده، ومنه حرف الجبل، وهو أعلاه المحد، وقيل: على "حرف"، أى على وجه واحد، وهو أن يعبده على السراء دون الضراء، ولو عبدوا الله على الشكر في السراء والصبر على الضراء لما عبدو الله على حرف، وقيل: "حرف" على شرط، وذلك أن شيبة بن ربيعة قال للنبي ﷺ قبل أن يظهر أمره، أدع لى ربك أن يرزقنى مالاً وإبلا وخيلاً وولداً حتى أؤمن بك وأعدل إلى دينك، فدعا له فرزقه الله عز وجل ما تمنى، ثم أراد الله فتنته واختباره وهو أعلم به فأخذ منه ما كان رزقه بعد أن أسلم فارتد عن الإسلام فأنزل الله فيه هذه الآية. (٤)

---

(١) آية: (٦٤) من سورة الزمر.

(٢) آية: (٧٦) من سورة المائدة.

(٣) آية: (١١) من سورة الحج.

(٤) الجامع لأحكام القرأن للقرطبى المجلد السادس ص ٤٥٤٩.

وقال ابن كثير: قال مجاهد: " على حرف " أى على شك، وقال غيره: على طرف، ومنه حرف الجبل أى طرفه، أى دخل في الدين على طرف، فإن وجد ما يحبه استقر وإلا انشمر، عن ابن عباس – رضى الله عنهما – قال: " ﴿ وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَعۡبُدُ ٱللَّهَ عَلَىٰ حَرۡفٖۖ ﴾" قال: كان الرجل يقدم المدينة، فإن ولدت امرأته غلاماً ونُتجتْ خيله قال: هذا دين صالح، وإن لم تلد امرأته ولم تنتج خيله قال: هذا دين سوء " (١)، وروى ابن أبى حاتم، عن ابن عباس – رضى الله عنهما – قال: كان ناس من الأعراب يأتون النبي ﷺ فيسلمون، فإذا رجعوا إلى بلادهم، فإن وجدوا عام غيث وعام خصب، وعام ولاد حسن قالوا: إن ديننا هذا لصالح فتمسكوا به، وإن وجدوا عام جدب وعام ولاد سوء وعام قحط قالوا: ما في ديننا هذا خير، فأنزل الله على نبيه هذه الآية.(٢)

وهكذا ذكر قتادة والضحاك وابن جريج وغير واحد من السلف في تفسير هذه الآية، وقال عبد الرحمن بن زيد: هو المنافق إن صلحت له دنياه أقام على العبادة، وإن فسدت عليه دنياه وتغيرت انقلب فلا يقيم على العبادة إلا لما صلح من دنياه، فإن أصابته فتنة أو شدة أو اختبار أو ضيق ترك دينة ورجع إلى الكفر. (٣)

ثانيا: جاءت الآيات تأمر بعبادة الله وحده وتصف عبادته بالإستقامة، منها قوله تعالى: ﴿ قُلۡ يَٰٓأَهۡلَ ٱلۡكِتَٰبِ تَعَالَوۡاْ إِلَىٰ كَلِمَةٖ سَوَآءِۭ بَيۡنَنَا وَبَيۡنَكُمۡ أَلَّا نَعۡبُدَ إِلَّا ٱللَّهَ وَلَا نُشۡرِكَ بِهِۦ شَيۡـٔٗا ﴾. (٤)

قال ابن كثير: " تعالوا إلى كلمة سواء بيننا وبينكم " أى عدل ونصف نستوى نحن وأنتم فيها، ثم فسرها بقوله: " أن لا نعبد إلا الله ولا نشرك به شيئاً " لا وثناً ولا صليباً، ولا صنماً ولا طاغوتا ولا ناراً ولا شيئاً، بل نفرد العبادة لله وحده لا شريك له، وهذه دعوة جميع الرسل ثم قال في قوله ﴿ فَإِن تَوَلَّوۡاْ فَقُولُواْ ٱشۡهَدُواْ بِأَنَّا

(١) أخرجه البخاري في صحيحه كتاب تفسير سورة الحج ٦٠٥/٦.
(٢) أخرجه ابن أبى حاتم.
(٣) تفسير ابن كثير للصابونى المجلد الثاني ٥٣٢/٢٠.
(٤) آية: (٦٤) من سورة آل عمران.

مُّسْلِمُونَ ﴾ أى فإن تولوا عن هذا النصف وهذه الدعوة فاشهدوا أنتم على استمراركم على الإسلام الذي شرعه الله لكم.(١)

وقوله عز وجل: ﴿ وَإِنَّ ٱللَّهَ رَبِّى وَرَبُّكُمْ فَٱعْبُدُوهُ ۚ هَٰذَا صِرَٰطٌ مُّسْتَقِيمٌ ﴾.(٢)

قال القرطبي في قوله تعالى ﴿ فَٱعْبُدُوهُ ۚ هَٰذَا صِرَٰطٌ مُّسْتَقِيمٌ ﴾ أى دين قويم لا إعوجاج فيه. (٣)

وقال ابن كثير: قوله تعالى: ﴿ وَإِنَّ ٱللَّهَ رَبِّى وَرَبُّكُمْ فَٱعْبُدُوهُ ۚ هَٰذَا صِرَٰطٌ مُّسْتَقِيمٌ ﴾ أى ومما أمر به عيسى قومه وهو في مهده أن أخبرهم إذ ذاك أن الله ربه وربهم، وأمرهم بعبادته فقال تعالى: ﴿ فَٱعْبُدُوهُ ۚ هَٰذَا صِرَٰطٌ مُّسْتَقِيمٌ ﴾ أى هذا الذي جئتكم به عن الله صراط مستقيم أى قويم من اتبعه رشد ومن خالفه ضل وغوى.(٤)

فدلت هذه الآيات على تقرير منهج الوسطية في العبادة، وهى عبادة الله وحده لا شريك له، وأن من تركها فقد باء بالخسران المبين في الدنيا والآخرة.

ثالثاً: الآيات التى تدل على ذم الإفراط في العبادة والغلو فيها ومنها:

قوله تعالى: ﴿ وَرَهْبَانِيَّةً ٱبْتَدَعُوهَا مَا كَتَبْنَٰهَا عَلَيْهِمْ إِلَّا ٱبْتِغَآءَ رِضْوَٰنِ ٱللَّهِ فَمَا رَعَوْهَا حَقَّ رِعَايَتِهَا ۖ فَـَٔاتَيْنَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مِنْهُمْ أَجْرَهُمْ ۖ وَكَثِيرٌ مِّنْهُمْ فَٰسِقُونَ ﴾ (٣)

قال القرطبي في قوله تعالى: ﴿ وَرَهْبَانِيَّةً ٱبْتَدَعُوهَا ﴾ أى من قبل أنفسهم، قال الماوردي فيها قراءتان:

إحداهما: فتح الراء وهي الخوف من الرهب، **والثانية:** بضم الراء وهي منسوبة إلى الرهبان كالرضوانية من الرضوان، وذلك لأنهم حملوا أنفسهم على المشقات في الامتناع من المطعم والمشرب، والنكاح والتعلق بالكهوف والصوامع، وذلك أن ملوكهم غيروا وبدلوا وبقى نفر قليل فترهبو وبتلوا.

---

(١) تفسير ابن كثير، المجلد الأول ص ٢٩٠.
(٢) آية: (٣٦) من سورة مريم.
(٣) الجامع لأحكام القرآن للقرطبي المجلد السادس ص ٤٢٧٩.
(٤) تفسير ابن كثير المجلد الثاني ص ٤٥١.
(٥) آية: (٢٧) من سورة الحديد

وقال قتادة: الرهبانية التى ابتدعوها رفض النساء واتخاذ الصوامع.

﴿مَا كَتَبْنَاهَا عَلَيْهِمْ﴾ أى ما فرضناها عليهم، ولا أمرناهم بها، وقوله تعالى: ﴿ إِلَّا ٱبْتِغَآءَ رِضْوَٰنِ ﴾ أى ما أمرناهم إلا بما يرضى الله قاله ابن مسلم. (٤)

وقال ابن كثير في تفسير قوله تعالى: ﴿ وَرَهْبَانِيَّةً ٱبْتَدَعُوهَا ﴾ أى ابتدعتها أمة النصاري، ﴿مَا كَتَبْنَاهَا عَلَيْهِمْ﴾ أى ما شرعناها وإنما هم التزموها من تلقاء أنفسهم، ﴿إِلَّا ٱبْتِغَآءَ رِضْوَٰنِ ٱللَّهِ﴾، أى ما أمرناهم إلا بما يرضى الله تعالى، والمعنى ما كتبنا عليهم الرهبانية، ولكنهم فعلوها من تلقاء أنفسهم ابتغاء رضوان الله.

وقوله: ﴿ فَمَا رَعَوْهَا حَقَّ رِعَايَتِهَا ﴾ أى فما قاموا بها حق القيام، ولا حافظوا عليها كما ينبغي.

قال ابن كثير: وهذا ذم لهم من وجهين: **أحدهما:** الابتداع في دين الله ما لم يأمر به الله، **والثاني:** في عدم قيامهم بما التزموه مما زعموا أنه قربة تقربهم إلى الله عز وجل، وروي الإمام أحمد، عن إياس بن مالك أن النبي ﷺ قال: " لكل نبى رهبانية، ورهبانية هذه الأمة الجهاد في سبيل الله عز وجل "(١) ، وعن أبى سعيد الخدري – رضى الله عنه – أن رجلاً جاءه فقال: أوصنى، فقال: سألت عما سألت عنه رسول الله ﷺ من قبلك، أوصيك بتقوى الله فإنه رأس كل شىء، وعليك بالجهاد فإنه رهبانية هذه الأمة، وعليك بذكر الله وتلاوة القرآن، فإنه روحك في السماء وذكرك في الأرض. (٢) (٣)

وفي مقابل الغلو نهى الله عز وجل عن التفريط والإضاعة والإهمال فقال تعالى﴿ فَخَلَفَ مِنۢ بَعْدِهِمْ خَلْفٌ أَضَاعُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَٱتَّبَعُواْ ٱلشَّهَوَٰتِ فَسَوْفَ يَلْقَوْنَ غَيًّا ﴾.(٤)

---

(١) الجامع لأحكام القرآن للقرطبى المجلد التاسع ص ٦٦٦٥.
(٢) أخرجه الإمام أحمد في مسنده، والحافظ أبو يعلى.
(٣) أخرجه البخاري ومسلم.
(٤) تفسير البحر المحيط ٢٢٨/٨، مختصر تفسير ابن كثير المجلد الثالث ٤٥٦/٣، صفوة التفاسير للصابونى ٨٦/٣.
(٥) آية: (٥٩) من سورة مريم.

قال الجزائرى: قوله تعالى: ﴿فَخَلَفَ مِنۢ بَعۡدِهِمۡ خَلۡفٌ﴾ يخبر الله تعالى عن أولئك الصالحين ممن أجتبى وهدى من النبيين وذرياتهم، أنه خلف من بعدهم خلف سوء كان من شأنهم أنهم أضاعوا الصلاة قال: يجوز أن يراد بهذا الخلف السيء كل من أضاع الصلاة بتركها أو بعدم إقامتها بإخلاله بشروطها وأركانها وواجباتها وسننها، واتبع الشهوات من أهل الكتاب ومن المسلمين.

﴿وَٱتَّبَعُواْ ٱلشَّهَوَٰتِۖ﴾ فانغمسو في حمأة الرذائل فشربوا الخمور وشهدوا الزور وأكلو الحرام ولهو ولعبوا وزنوا وفجروا، بعد ذهاب أولئك الصالحين كما هو حال النصارى واليهود اليوم، وحتى كثير من المسلمين فهؤلاء الخلف السوء يخبر الله تعالى أنهم ﴿فَسَوۡفَ يَلۡقَوۡنَ غَيّٗا﴾ بعد دخولهم نار جهنم.

والغى: ورد عن النبي ﷺ أنه بئر في جهنم، وعن ابن مسعود: أنه واد في جهنم، قال ابن عباس – رضي الله عنهما –: غى: واد في جهنم وإن أودية جهنم لتستعيذ من حره أعد الله تعالى ذلك الوادى للزانى المصر على الزنى ولشارب الخمر المدمن عليه، ولآكل الربا لا ينزع عنه، ولأهل العقوق، ولشاهد الزور، ولا مرأة دخلت على زوجها ولداً ليس منه. (١)

قال ابن كثير: لما ذكر تعالى حزب السعداء وهم الأنبياء عليهم السلام، ومن اتبعهم من القائمين بحدود الله وأوامره المؤدين فرائض الله التاركين لزواجره، ذكر أنه ((﴿فَخَلَفَ مِنۢ بَعۡدِهِمۡ خَلۡفٌ﴾ أى قرون أخرى، ﴿أَضَاعُواْ ٱلصَّلَوٰةَ﴾ وأقبلوا على شهوات الدنيا وملاذها، ورضوا بالحياة الدنيا وإطمأنوا بها، فهؤلاء سيلقون غياً، أى خساراً يوم القيامة. (٢)

ثم ذكر الله تعالى الآيات التى تأمر بالتزام الوسط بين الإفراط والتفريط:
فقال تعالى: ﴿ وَلَا تَجۡهَرۡ بِصَلَاتِكَ وَلَا تُخَافِتۡ بِهَا وَٱبۡتَغِ بَيۡنَ ذَٰلِكَ سَبِيلٗا ﴾.(٣)

(١) أيسر التفاسير لكلام الكبير ٣١٨/٣.
(٢) وانظر الجامع لأحكام القرآن للقرطبي المجلد السادس ص ٤٢٩٣، مختصر ابن كثير المجلد الثاني ص ٤٥٧
(٣) آية: (١١٠) من سورة الإسراء.

فدلت هذه الآية على التوسط بين أمرين: هما الجهر الشديد والمخافتة والإسرار (وَٱبْتَغِ بَيْنَ ذَٰلِكَ سَبِيلًا) أى وسطاً بين السر والجهر .

روى مسلم وغيره عن ابن عباس – رضي الله عنهما – في قوله (ولا تجهر بصلاتك ولا تخافت بها) الخ... قال: " نزلت ورسول الله ﷺ متوار بمكة، فكان إذا صلى بأصحابه رفع صوته بالقرآن، فإذا سمع ذلك المشركون سبوا القرآن، ومن أنزله، ومن جاء به فقال الله تعالى لنبيه: (وَلَا تَجْهَرْ بِصَلَاتِكَ) فيسمع المشركون قراءتك، (وَلَا تُخَافِتْ بِهَا) عن أصحابك: أسمعهم القرآن ولا تجهر ذلك الجهر (وَٱبْتَغِ بَيْنَ ذَٰلِكَ سَبِيلًا) يقول: بين الجهر والمخافتة " [1] ، كان هذا في مكة ثم استقرت السنة بالجهر في الركعتين الأولتين في صلاة المغرب والعشاء وصلاة الصبح، والسر في صلاة الظهر والعصر وثالثة المغرب والأخيرتين من صلاة العشاء.

وقيل نزلت في الدعاء والأول أرجح. [2]

وقوله تعالى في هذا المعنى: ﴿ وَٱذْكُر رَّبَّكَ فِى نَفْسِكَ تَضَرُّعًا وَخِيفَةً وَدُونَ ٱلْجَهْرِ مِنَ ٱلْقَوْلِ بِٱلْغُدُوِّ وَٱلْـَٔاصَالِ وَلَا تَكُن مِّنَ ٱلْغَٰفِلِينَ ﴾. [3]

أمر الله تعالى رسوله وأمته تابعة له في هذا الكمال بذكره تعالى سراً وتذللاً وخشوعاً وخوفاً وخشية (ودون الجهر من القول) وهو السر بأن يسمع نفسه فقط أو من يليه لا غير.

قال ابن كثير: وهكذا يستحب أن يكون الذكر خفياً لا يكون نداءً وجهراً بليغاً، ولهذا لما سألوا رسول الله ﷺ فقالوا: أقريب ربنا فنناجيه أم بعيد فنناديه فأنزل الله عز وجل: ﴿ وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِى عَنِّى فَإِنِّى قَرِيبٌ ۖ أُجِيبُ دَعْوَةَ ٱلدَّاعِ إِذَا دَعَانِ ۖ ﴾[4]، وفي

(١) أخرجه الإمام مسلم في صحيحه كتاب الصلاة، باب التوسط في القراءة في الصلاة الجهرية بين الجهر والإسرار إذا خاف من الجهر مفسدة ٣٢٩/١٠ الحديث رقم (٤٤٦).
(٢) مختصر تفسير ابن كثير المجلد الثاني ص ٤٠٥، أيسر التفاسير لكلام العلى الكبير المجلد الثالث ٢٣٣.
(٣) آية: (٢٠٥) من سورة الأعراف.
(٤) آية: (١٨٦) من سورة المائدة.

الصحيحين عن أبي موسى الأشعري – رضى الله عنه – قال: كنا مع النبى ﷺ في سفر فجعل الناس يجهرون بالتكبير، فقال النبى ﷺ " يا أيها الناس اربعوا [١] على أنفسكم فإنكم لا تدعون أصم ولا غائباً، إنكم تدعون سميعاً قريباً وهو معكم". قال: وأنا خلفه، وأنا أقول: لا حول ولا قوة إلا بالله فقال: " يا عبد بن قيس – ألا أدلك على كنز من كنوز الجنة " ؟ فقلت: بلى يا رسول الله: قال:" قل: [٢] لا حول ولا قوة إلا بالله [٣]

وقد يراد بها: نفس المعنى السابق في سورة الإسراء فإرجع إليه.

والمراد الحض على كثرة الذكر من العباد بالغدو والآصال، لئلا يكونوا من الغافلين، ولهذا مدح الملائكة الذين يسبحون الليل والنهار لا يفترون، وإنما ذكرهم بهذا ليقتدى بهم في كثرة طاعتهم وعبادتهم، فتأس بهم ولا تكن من الغافلين. [٤]

وقال تعالى في سورة المزمل ﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلْمُزَّمِّلُ ۝١ قُمِ ٱلَّيْلَ إِلَّا قَلِيلًا ۝٢ نِّصْفَهُۥٓ أَوِ ٱنقُصْ مِنْهُ قَلِيلًا ۝٣ أَوْ زِدْ عَلَيْهِ وَرَتِّلِ ٱلْقُرْءَانَ تَرْتِيلًا ۝٤ إِنَّا سَنُلْقِى عَلَيْكَ قَوْلًا ثَقِيلًا ﴾. [٥]

---

(١) (اربعوا على أنفسكم) معناه: أرفقوا بأنفسكم واخفضوا أصواتكم، فإن رفع الصوت إنما يفعل الإنسان ليعد من يخاطبه ليسمعه، وأنتم تدعون الله تعالى، وليس هو أصم ولا غائب بل هو سميع قريب.

(٢) (حول ولا قوة إلا بالله) كنز من كنوز الجنة، قال العلماء: سبب ذلك أنها كلمة استسلام وتفويض إلى الله تعالى، واعتراف بالإذعان له وأنه لا صانع غيره، ولا راد لأمره، وأن العبد لا يملك شيئاً من الأمر، ومعنى الكنز هنا، أنه ثواب مدخر في الجنة وهو ثواب نفيس، كما أن الكنز أنفس أموالكم، قال أهل اللغة: الحول الحركة والحيلة، أى لا حركة ولا استطاعة ولا حيلة إلا بمشئية الله تعالى: وقيل: معناه: لا حول في دفع شر، ولا قوة في تحصيل خير إلا بالله.(المصباح المنير ص ٦، مادة حول، معجم الألفاظ والمصطلحات الفقهية ٦٠٣/١، صحيح مسلم ٢٠٧٧/٤).

(٣) أخرجه الإمام مسلم في صحيحه كتاب الذكر والدعاء والتوبة والاستغفار، باب استحباب خفض الصوت بالذكر ٢٠٧٦/٤ الحديث رقم ٢٧٠٤.

(٤) مختصر تفسير ابن كثير المجلد الثاني ص ٨٠، أيسر التفاسير المجلد الثاني ص ٢٨٠.

(٥) الآيات من (١-٤) من سورة المزمل.

ثم قال في موضع آخر السورة ﴿ إِنَّ رَبَّكَ يَعْلَمُ أَنَّكَ تَقُومُ أَدْنَىٰ مِن ثُلُثَيِ ٱلَّيْلِ وَنِصْفَهُۥ وَثُلُثَهُۥ وَطَآئِفَةٌ مِّنَ ٱلَّذِينَ مَعَكَ ۚ وَٱللَّهُ يُقَدِّرُ ٱلَّيْلَ وَٱلنَّهَارَ ۚ عَلِمَ أَن لَّن تُحْصُوهُ فَتَابَ عَلَيْكُمْ ۖ فَٱقْرَءُوا۟ مَا تَيَسَّرَ مِنَ ٱلْقُرْءَانِ ۚ ﴾. (١)

يأمر الله تعالى رسوله ﷺ بأن يترك التزمل (وهو التغطى) وينهض إلى القيام لربه عز وجل، فقال له: قم يا محمد الليل إلا قليلا وهو نصفه، أو انقص منه قليلا بحيث يزيد على الثلث أو زد عليه قليلا بحيث لا يزيد على الثلثين، وهذا خطاب للرسول ﷺ امتثله فقام حتى تورمت قدماه، واقتدى به أصحابه حتى شحبت ألوانهم وضعفت أجسامهم وتورمت أقدامهم فأنزل الله ﴿ طه ۝١ مَآ أَنزَلْنَا عَلَيْكَ ٱلْقُرْءَانَ لِتَشْقَىٰٓ ﴾.

ثم جاء قوله تعالى:﴿ إِنَّ رَبَّكَ يَعْلَمُ أَنَّكَ تَقُومُ أَدْنَىٰ مِن ثُلُثَيِ ٱلَّيْلِ ﴾ الآية.

هذه الآية ترجع إلى أول السورة حيث كان الأمر فيها للنبي ﷺ – وكذلك صحبه – بأن يقيم ساعات طوالاً من الليل تتراوح بين الثلث والثلثين، وقد امتثل الرسول ﷺ لذلك بل وبولغ فيه، ثم أنزل التخفيف على الأمة وانتقل الأمر من الواجب إلى المباح، فلقد خفف الله عن الأمة الإسلامية حيث اتسع العدد، وأصبح فيها المريض وذو الحاجة والمسافر للتجارة والمقاتل في سبيل الله وهؤلاء بلا شك لا يطيقون القيام فجعله الله مندوباً، فمن شاء فعله واستحق ثوابه، ومن شاء ترك هذا الفضل الكبير والله هو العالم بكل شيء. (٢)

نماذج الوسطية في مجال العبادات والشعائر: تتجلى مظاهر الوسطية في الإسلام في مجال العبادات والشعائر بين الأديان والنحل التى ألغت الجانب (الربانى) – جانب العبادة والتنسك والتأله من فلسفتها وواجباتها، كالبوذية التى اقتصرت فروضها على الجانب الأخلاقي الإنساني وحده، وبين الأديان والنحل التى طلبت من أتباعها التفرغ للعبادة والانقطاع عن الحياة والانتاج كالرهبانية المسيحية.

---

(١) الآية: (٢٠) من سورة المزمل.

(٢) مختصر تفسير ابن كثير ٥٦٢/٣، ٥٦٥، أيسر التفاسير ٤٥٥/٥، التفسير الواضح د/ محمد محمود حجازى ٥٦/٣.

فالإسلام يطلب من المسلم أداء شعائر محدودة في اليوم كالصلاة، أو في السنة كالصوم، أو في العمر مرة كالحج، ليظل دائماً موصولاً بالله، غير مقطوع عن رضاه، ثم يطلقه بعد ذلك ساعياً منتجاً يمشي في مناكب الأرض، ويأكل من رزق الله.

ولعل أوضح دليل على ذلك هنا الآيات الآمرة بصلاة الجمعة ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا نُودِىَ لِلصَّلَوٰةِ مِن يَوْمِ ٱلْجُمُعَةِ فَٱسْعَوْاْ إِلَىٰ ذِكْرِ ٱللَّهِ وَذَرُواْ ٱلْبَيْعَ ۚ ذَٰلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ ۝ فَإِذَا قُضِيَتِ ٱلصَّلَوٰةُ فَٱنتَشِرُواْ فِى ٱلْأَرْضِ وَٱبْتَغُواْ مِن فَضْلِ ٱللَّهِ وَٱذْكُرُواْ ٱللَّهَ كَثِيرًا لَّعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴾. (١)

فهذا شأن المسلم مع الدين والحياة حتى في يوم الجمعة: بيع وعمل للدنيا قبل الصلاة، ثم سعى إلى ذكر الله وإلى الصلاة، وترك للبيع والشراء وما أشبهه من مشاغل الحياة، ثم انتشار في الأرض وابتغاء الرزق من جديد بعد انقضاء الصلاة، مع عدم الغفلة عن ذكر الله كثيراً في كل حال، فهو أساس الفلاح والنجاح. (٢)

إن الأحكام الشرعية كلها قائمة على اليسر والسماحة والتوسط والاعتدال، لتكون سهلة التطبيق والممارسة على مختلف الناس في حال القوة والضعف، وفي وقت الإقامة والسفر، وفي حال الصحة والمرض، وفي سن الشباب والكهولة والشيخوخة، نجد مصداقاً لذلك الآيات في القرآن في قوله تعالى: ﴿ لَا يُكَلِّفُ ٱللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا ۚ ﴾ (٣)، وقوله ﷺ في الحديث الجامع عن السيدة عائشة – رضى الله عنها – قالت: لم يكن رسول الله ﷺ في الشهر من السنة أكثر صياماً منه في

(١) الآيتان: (٩–١٠) من سورة الجمعة.
(٢) كلمات في الوسطية الإسلامية ومعالمها د/ يوسف القرضاوى ضمن سلسلة كتاب الأمة الوسط إصدار المركز العالمى للوسطية بالكويت، الوسطية ودور الإعلام في إبرازها للمؤلف.
(٣) آية: (٢٨٦) من سورة البقرة.

شعبان وكان يقول: " خذو من الأعمال ما تطيقون، فإن الله لن يمل حتى تملوا " وكان يقول: " أحب العمل إلى الله ما دام عليه صاحبه وإن قل ". (١)

وعن أبي هريرة – رضي الله عنه – أن رسول الله ﷺ قال: " ما نهيتكم عنه فاجتنبوه وما أمرتكم به فأفعلوا منه ما استطعتم فإنما أهلك الذين من قبلكم كثرة مسائلهم، واختلافهم على أنبيائهم ". (٢)

وفي الصلاة: قال تعالى: ﴿ وَأَقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتُواْ ٱلزَّكَوٰةَ وَٱرۡكَعُواْ مَعَ ٱلرَّٰكِعِينَ ﴾(٣)،وقوله عز وجل ﴿ قَدۡ أَفۡلَحَ ٱلۡمُؤۡمِنُونَ ۝١ ٱلَّذِينَ هُمۡ فِي صَلَاتِهِمۡ خَٰشِعُونَ ﴾ (٤) وقال سبحانه: ﴿ إِنَّ ٱلصَّلَوٰةَ تَنۡهَىٰ عَنِ ٱلۡفَحۡشَآءِ وَٱلۡمُنكَرِۗ ﴾. (٥) وقوله عز وجل ﴿ وَٱسۡتَعِينُواْ بِٱلصَّبۡرِ وَٱلصَّلَوٰةِۚ وَإِنَّهَا لَكَبِيرَةٌ إِلَّا عَلَى ٱلۡخَٰشِعِينَ ﴾. (٦)

ومن السنة: ما روى عن أنس بن مالك – رضى الله عنه – قال: قال النبي ﷺ بعثت بالحنيفية السمحة ". (٧)

وعن عائشة – رضى الله عنها – أن النبي ﷺ قال: " إن الدين يسر ولن يشاد الدين أحداً إلا غليه، فسددوا وقاربوا وأبشروا ".

وفي الصوم: قال تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ كُتِبَ عَلَيۡكُمُ ٱلصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ عَلَى ٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِكُمۡ لَعَلَّكُمۡ تَتَّقُونَ ۝١٨٣ أَيَّامٗا مَّعۡدُودَٰتٖۚ ﴾.(٨) وقال عز وجل ﴿ فَمَن

(١) أخرجه الإمام مسلم في صحيحه كتاب الصيام باب صيام النبى ﷺ في غير رمضان، واستحباب أن لا يخلى شهراً عن صوم.

(٢) أخرجه مسلم في صحيحه كتاب الفضائل، باب توقيره ﷺ ، وترك إكثار سؤاله عما لا ضرورة إليه، أو لا يتعلق به تكليف، وما لا يقع، ونحو ذلك ١٨٣٠/٤ الحديث رقم (١٣٣٧).

(٣) آية: (٤٣) من سورة البقرة.

(٤) الآيتان: (١-٢) من سورة المؤمنون.

(٥) الآية: (٤٥) من سورة العنكبوت.

(٦) الآية: (٤٥) من سورة البقرة.

(٧) أخرجه البيهقي والنسائي.

(٨) آية: (١٨٣-١٨٤) من سورة البقرة.

شَهِدَ مِنكُمُ ٱلشَّهۡرَ فَلۡيَصُمۡهُۖ وَمَن كَانَ مَرِيضًا أَوۡ عَلَىٰ سَفَرٖ فَعِدَّةٞ مِّنۡ أَيَّامٍ أُخَرَۚ يُرِيدُ ٱللَّهُ بِكُمُ ٱلۡيُسۡرَ وَلَا يُرِيدُ بِكُمُ ٱلۡعُسۡرَ ﴾. (١)

ومن السنة: ما روى عن أبي هريرة – رضى الله عنه – قال: قال " رسول الله ﷺ قال الله عز وجل: " كل عمل ابن آدم له إلا الصوم فهو لى وأنا أجزي به، الصيام جنة، والذى نفسى محمد بيده لخلوف فم الصائم أطيب عند الله يوم القيامة من ريح المسك، للصائم فرحتان إذا أفطر: فرح بفطره وإذا لقى ربه فرح بصومه ".

النهى عن الغلو والتشدد في العبادة: لقد عاش النبي ﷺ وأصحابه الكرام – رضى الله عنهم – عاملين بمنهج الإسلام على أفضل وجه وأعدله، وقدموا لنا صورة مثالية فريدة في تنفيذ منهج الله بتوازنه واعتداله ووسطيته، وشموله وواقعيته وكماله.

وبذلك نالوا شرف خيرية هذه الأمة قال رسول الله ﷺ " خير أمتى قرنى، ثم الذين يلونهم، ثم الذين يلونهم "(٢)، إلا أنه قد وقعت بعض المواقف ظناً منهم أن أفضلية العبادة وعظم ثوابها لا تحصل إلا بالمشقة البالغة، وحرمان أنفسهم من طيبات الدنيا، فصحح النبي ﷺ هذا الفهم الخاطىء وأرشدهم إلى منهج وسطية العبادة في الإسلام.

ولمزيد من هذه الوسطية والعدل والتوازن في العبادات أذكر بعض النماذج والمظاهر الدالة على حثه ﷺ على الاعتدال وتحذيره من التشدد:

النموذج الأول: عن أنس – رضى الله عنه – قال: جاء ثلاثة رهط إلى بيوت أزواج النبي ﷺ يسألون عن عبادة النبي ﷺ فلما أخبروا بها كأنهم تقالوها، فقالوا: وأين نحن من النبي ﷺ وقد غفر الله له ما تقدم من ذنبه وما تأخر ؟ قال أحدهم: أما أنا فأنا أقوم الليل أبداً، وقال آخر: أنا أصوم الدهر ولا أفطر، وقال آخر: أنا أعتزل النساء فلا أتزوج أبداً، فجاء رسول الله ﷺ فقال: " أنتم الذين قلتم

(١) آية: (١٨٥) من سورة البقرة.
(٢) أخرجه البخاري في صحيحه كتاب فضائل أصحاب النبي ﷺ باب فضل أصحاب النبي ﷺ ٢٥٨/٥.

كذا وكذا... أما والله إنى لأخشاكم لله وأتقاكم له، لكنى أصوم وأفطر، وأصلى وأرقد، وأتزوج النساء، فمن رغب عن سنتى فليس منى ". (١)

فقد بين الرسول ﷺ في هذا الحديث أن الأمر المشروع هو الاقتصاد في العبادات دون الإنهماك والإضرار بالنفس وهجر المألوف، ثم بين الرسول ﷺ أن النكاح من شريعة الإسلام وسنة نبيه ﷺ فمن رغب عن هذه السنه فليس من أهل الحنيفية السهلة. (٢)

النموذج الثاني: عن ابن عباس – رضى الله عنهما – قال: بينا النبي ﷺ يخطب إذ هو برجل قائم فسأل عنه فقالوا: أبو اسرائيل نذر أن يقوم ولا يقعد ولا يستظل ولا يتكلم، ويصوم، فقال النبي ﷺ " مُرهُ فليتكلم وليستظل وليقعد وليتم صومه ".(٣)

فقد وجهه الرسول ﷺ أن يأخذ نفسه بالوسطية فى العبادة وبين ﷺ أن الله تعالى لم يأمرنا بأن نشك على أنفسنا.

الحديث عن أنس بن مالك – رضى الله عنه – قال: دخل النبى ﷺ فإذا حبل ممدود بين ساريتين فقال ما هذا قالوا: هذا حبل لزينب فإذا فترت تعلقت فقال النبى ﷺ " لا حلوه ليصل أحدكم نشاطه، فإذا فتر فليقعد " . (٤)

فقد أمر الرسول ﷺ بالاقتصاد في العبادة شفقة منه بالمسلمين، لأن الغلو والإفراط في العبادة يؤدي إلى الانقطاع عنها وهذا غير مقصود الشرع.

النموذج الرابع: عن ابن مسعود – رضي الله عنه – قال: قال رسول الله ﷺ " هلك المتنطعون " قالها ثلاثا. (٥)

---

(١) أخرجه البخاري، كتاب النكاح، باب الترغيب فيه ٤/٧، أخرجه النسائي، باب النهي عن التبتل ٦/ ٥٩، ٦٠.

(٢) سبل السلام، للصنعانى ٩٧٥/٣، دار الحديث.

(٣) أخرجه البخاري في صحيحه كتاب الأيمان والنذور ٤٠٠/٨، باب النذر فيما لا يملك وفي معصية ٣٩٩/٨.

(٤) أخرجه البخاري كتاب التهجد، باب ما يكره من التشدد في العبادة ٢٨٧/٢.

(٥) أخرجه مسلم ٢٠٥٥/٤ في صحيحه كتاب العلم، باب هلك المتنطعون ٢٠٥٥/٤ الحديث رقم (٢٦٧٠).

وفي الحج: المفروض قال تعالى: ﴿ وَلِلَّهِ عَلَى ٱلنَّاسِ حِجُّ ٱلْبَيْتِ مَنِ ٱسْتَطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلًا ﴾. (١)

فخرج بهذه الآية عدم الاستطاعة، وقوله تعالى في أصحاب الأعذار: ﴿ فَمَن كَانَ مِنكُم مَّرِيضًا أَوْ بِهِۦٓ أَذًى مِّن رَّأْسِهِۦ فَفِدْيَةٌ مِّن صِيَامٍ أَوْ صَدَقَةٍ أَوْ نُسُكٍ ﴾ .(٢)

أما قراءة القرآن: المأمور بها بتدبر وإمعان: فقائمة على اليسر والاعتدال والتخفيف، لقوله تعالى: ﴿ فَٱقْرَءُوا۟ مَا تَيَسَّرَ مِنْهُ ﴾ (٣)، أما عن ختم القرآن فحسب قدرة الإنسان في الأسبوع مره أو في الشهر، أو في كل أربعين يوماً على الأكثر، ولا يقرؤه في أقل من ثلاثة أيام، ومع ذلك فقد رفع الله الحرج عن العوام في تلاوة القرآن ولم ينساهم من الأجر عند الاجتهاد فيما روى عن السيدة عائشة – رضي الله عنها قالت:– قال رسول الله ﷺ: " الماهر بالقرآن مع السفرة الكرام البررة، والذي يقرأ القرآن، ويتتعتع فيه وهو عليه شاق، له أجران ". (٤)

❁❁❁

المطلب الثالث: وسطية الإسلام في التشريع:

الاعتدال في الأحكام الشرعية: إن الشرع الإسلامي وسط في أحكامه وأنظمته القانونية والاجتماعية، بما في ذلك المجالات الأسرية والمدنية والجنائية والدولية.

فهو وسط في التحليل والتحريم بين اليهودية التى بالغت في التحريم، وكثرت فيها المحرمات، مما حرمه إسرائيل على نفسه، ومما حرمه الله على اليهود، جزاء بغيهم وظلمهم، كما قال الله تعالى: ﴿ فَبِظُلْمٍ مِّنَ ٱلَّذِينَ هَادُوا۟ حَرَّمْنَا

(١) آية: (٩٧) من سورة آل عمران.
(٢) آية: (١٩٦) من سورة البقرة.
(٣) آية: (٢٠) من سورة المزمل.
(٤) أخرجه مسلم في صحيحه كتاب صلاة المسافرين وقصرها – باب فضل الماهر بالقرآن والذى يتتعتع فيه ٥٤٩/١، ٥٥٠، الحديث رقم (٧٩٨).

عَلَيْهِمْ طَيِّبَٰتٍ أُحِلَّتْ لَهُمْ وَبِصَدِّهِمْ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ كَثِيرًا ﴿١٦٠﴾ وَأَخْذِهِمُ ٱلرِّبَوٰاْ وَقَدْ نُهُواْ عَنْهُ وَأَكْلِهِمْ أَمْوَٰلَ ٱلنَّاسِ بِٱلْبَٰطِلِ ﴾. (١)

وبين النصرانية التى أسرفت في الإباحة حتى أحلت الأشياء المنصوص على تحريمها في التوراة مع أن الإنجيل يعلن أن المسيح لم يجيء لينقض ناموس التوراة بل ليكمله، ومع هذا أحل رجال المسيحية أن كل شيء طاهر للطاهرين.

فالإسلام قد أحل وحرم، ولكنه لم يجعل التحليل ولا التحريم من حق بشر، بل من حق الله وحده، ولم يحرم إلا الخبيث الضار، كما لم يُحل إلا الطيب النافع، ولهذا كان من أوصاف الرسول ﷺ عند أهل الكتاب يأمرهم بالمعروف وينهاهم عن المنكر ويحل لهم الطيبات ويحرم عليهم الخبائث ويضع عنهم إصرهم والأغلال التى كانت عليهم بقوله تعالى: ﴿ يَأْمُرُهُم بِٱلْمَعْرُوفِ وَيَنْهَىٰهُمْ عَنِ ٱلْمُنكَرِ وَيُحِلُّ لَهُمُ ٱلطَّيِّبَٰتِ وَيُحَرِّمُ عَلَيْهِمُ ٱلْخَبَٰٓئِثَ وَيَضَعُ عَنْهُمْ إِصْرَهُمْ وَٱلْأَغْلَٰلَ ٱلَّتِى كَانَتْ عَلَيْهِمْ ﴾. (٢)

وسطية الإسلام في تعدد الزوجات: التشريع الإسلامي وسط في شئون الأسرة، كما هو وسط في شئوونه كلها، وسط بين الذين شرعوا تعدد الزوجات بغير عدد ولا قيد، وهم المجوس وعبدة البقر والمشركين من العرب قبل الإسلام، وبين الذين رفضوه وأنكروه ولو اقتضته المصلحة والضرورة والحاجة، وهم أهل الكتاب، فجاء الإسلام وقيد الزواج بأربع نسوة واشترط في ذلك العدل.

إن إباحة القرآن للتعدد لم تكن ضرورة مقيدة بالعدل المستحيل كما قيل، وإنما هو إباحة عامة تعرض لها الأحكام الشرعية الأخرى تبعاً لظروف صاحبها، وقد قيده الله تعالى بضوابط وحدود منها:

١- جعل الحد الأقصى أربع نسوه كما قال تعالى: ﴿ فَٱنكِحُواْ مَا طَابَ لَكُم مِّنَ ٱلنِّسَآءِ مَثْنَىٰ وَثُلَٰثَ وَرُبَٰعَ ﴾ (٣) وكان في الجاهلية بلا حدود:

---

(١) الآيتان: (١٦٠-١٦١) من سورة النساء.
(٢) آية: (١٥٧) من سورة الأعراف.
(١) آية: (٣) من سورة النساء.

٢- أوجب العدل والمساواة بين الزوجات في جميع الحقوق التى في إمكان الزوج: كالمبيت والجماع، والنفقه والمسكن، وغير ذلك، ولم يستثن من ذلك إلا الميل القلبى، الذى لا يملكه أحد، ولذلك حث الله تعالى من يخشى التقصير على اجتناب التعدد، فقال تعالى في ختام الآية السابقة ﴿ فَإِنْ خِفْتُمْ أَلَّا تَعْدِلُوا فَوَاحِدَةً أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ ذَلِكَ أَدْنَى أَلَّا تَعُولُوا ﴾ (١)، فجعل الله تعالى العدل أمراً لازماً يتحرى بقدر الوسع والطاقة كما قال تعالى: ﴿ وَلَنْ تَسْتَطِيعُوا أَنْ تَعْدِلُوا بَيْنَ النِّسَاءِ وَلَوْ حَرَصْتُمْ فَلَا تَمِيلُوا كُلَّ الْمَيْلِ فَتَذَرُوهَا كَالْمُعَلَّقَةِ ﴾. (٢)

ذلك أن العدل الكامل المطلق غير مستطاع، خاصة ميل القلب، فأمر الله تعالى بالعدل الممكن، الذى لا يترخص فيه صاحبه، ولا يتنطع.

إن كل المجتمعات التى تحرم التعدد وتنص على عدم إباحته بحجة أنه امتهان لكرامة المرأة، وإيذاء لمشاعرها، ومجلبة لمفاسد اجتماعية من ناحية اختلاف الأسرة ونحو ذلك، هذه المجتمعات تبيح للمرأة أحط أنواع العلاقات سفاحاً، وعهراً، وتعترف بأبناء الحرام تيسيراً لهذه العلاقات.

إن إباحة تعدد الزوجات بالشروط السابقة يدل على وسطية القرآن في باب التشريع. (٣)

وسطية الإسلام في الطلاق: من أمثلة الوسطية في التشريع في القرآن الكريم قضية الطلاق حيث وقع الناس فيها بين الإفراط والتفريط، فكان الإسلام وسط بين الذين حرموا الطلاق لأي سبب كان، ولواستحالت الحياة الزوجية إلى جحيم لا يطاق، كالكاثوليك، وبين الذين أرخو العنان في أمر الطلاق، فلم يقيد

---

(٢) آية: (٣) من سورة النساء.

(٣) آية: (١٢٩) من سورة النساء.

(٤) الأعمال الكاملة للشيخ محمد عبده ص ٧٦ ط الأولى ١٤١٤ هـ /١٩٩٣ م دار الشروق، الوسطية في القرآن د/ على الصلابى ص ٤٣٢ وما بعدها، الخصائص العامة للإسلام د/ يوسف القرضاوى ص ١٣٣، انظر الوسطية ودور الإعلام في إبرازها، بحث مقدم لندوة إقرأ الفقهية (١٤٢٧ هـ- ٢٠٠٦ م)، مظاهر الوسطية في التشريع الإسلامي ا/ محمد مسعد ياقوت، المشرف العام على موقع نبى الرحمة.

بقيد، أو شرط، فمن طلب الطلاق من رجل أو امرأه كان أمره بيده، وبذلك سهل هدم الحياة الزوجية بأوهى سبب.. أما التشريع الإسلامي: فقد شرع الطلاق، عندما تفشل كل وسائل العلاج الأخرى، ولا يجدى تحكيم ولا إصلاح، ومع هذا فهو أبغض الحلال إلى الله، ويستطيع المطلق أن يراجع زوجته إلى عصمته مرة ومرة كما سيأتى:

ومن هنا فقد عالج القرآن الكريم الخلاف بين الزوجين بعدة طرق منها:

١- **دعا الزوجين إلى أن يشعر كل واحد منهما بمسئوليته نحو الآخر** ونحو الأولاد فقال تعالى: ﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ قُوٓاْ أَنفُسَكُمۡ وَأَهۡلِيكُمۡ نَارٗا وَقُودُهَا ٱلنَّاسُ وَٱلۡحِجَارَةُ عَلَيۡهَا مَلَـٰٓئِكَةٌ غِلَاظٞ شِدَادٞ لَّا يَعۡصُونَ ٱللَّهَ مَآ أَمَرَهُمۡ وَيَفۡعَلُونَ مَا يُؤۡمَرُونَ ﴾ . (١)

ويقول الرسول ﷺ: " كلكم راع وكلكم مسئول عن رعيته إلى قوله ﷺ والرجل راع في أهله وهو مسئول عن رعيته، والمرأة راعية في بيت زوجها ومسئولة عن رعيتها ". (٢)

٢- **أوصى القرآن كلاً من الزوجين أن يتحملا بعضهما البعض عند ظهور خلق من أحدهما لا يرضاه الآخر** ويصبر على ما يكرهه فإن في ذلك خير كثير. فقال تعالى: ﴿ وَعَاشِرُوهُنَّ بِٱلۡمَعۡرُوفِۚ فَإِن كَرِهۡتُمُوهُنَّ فَعَسَىٰٓ أَن تَكۡرَهُواْ شَيۡـٔٗا وَيَجۡعَلَ ٱللَّهُ فِيهِ خَيۡرٗا كَثِيرٗا ﴾. (٣)

٣- **فإذا احتد الشقاق بينهما ولم يحتمل أحدهما الآخر، أوجب الإسلام أن يكون بينهما حكماً من أهلهما في قوله تعالى:** ﴿ وَإِنۡ خِفۡتُمۡ شِقَاقَ بَيۡنِهِمَا فَٱبۡعَثُواْ حَكَمٗا مِّنۡ أَهۡلِهِۦ وَحَكَمٗا مِّنۡ أَهۡلِهَآ إِن يُرِيدَآ إِصۡلَـٰحٗا يُوَفِّقِ ٱللَّهُ بَيۡنَهُمَآۗ ﴾. (٤)

فإذا لم ينجحا الحكمان في التوفيق بينهما وأصر الزوجان أو أحدهما على الطلاق طلقت الزوجة مرة رجعية وكانت العدة في بيت الزوجية، وكان له حق

---

(١) آية: (٦) من سورة التحريم.
(٢) أخرجه البخاري كتاب النكاح – باب المرأة راعية في بيت زوجها ٤٣/٧ الحديث (٥٢٠٠).
(٣) آية: (١٩) من سورة النساء.
(١) آية: (٣٥) من سورة النساء.

مراجعتها، بدون عقد ولا مهر ولا شهود، ثم الطلقة الثانية وله مراجعتها إلا إذا انتهت عدتها فلابد من عقد ومهر جديدين، ثم إن تعذرت الحياة بينهما كانت الطلقة الثالثة وهنا لا تحل له إلا بعد أن تنكح زوجاً غيره ثم يدخل بها ويعاشرها معاشرة الأزواج ثم يموت عنها أو يطلقها وهنا لها أن تتزوج من زوجها الأول إن أرادا ذلك.

كل هذه الخطوات السابقة في الطلاق لأكبر دليل على وسطية القرآن في الطلاق.

وسطية الإسلام في العدة: إن الإسلام يحرص على بقاء الزوجية المؤبدة، فإذا حصل الطلاق فإن العدة تبقى الصلات بين الزوجين ما يستطيع الزوج به مراجعة زوجته، فهي فترة لإمعان الفكر قبل حل الحياة الزوجية.

ومن حكم العدة: إنه يتبين فيها للمرأة الحمل وعدمه، وفي ذلك من النفع ما فيه كى لا تختلط الأنساب ومنها: الحداد على المتوفى، فإن وفاة الزوج خسارة فادحة للزوجة، إذ خسرت رب أسرتها ومعينها، فمن الوفاء أن تمتنع عن الأزواج فترة من الزمن، وبهذا يتضح لنا وسيطة القرآن وحكمته واستقامته على الصراط المستقيم في أحكامه التى تصلح لكل مكان وزمان، فكل طلاق تتبعه فترة تريث تتفاوت في طولها وقصرها تبعاً لحالة الزوجة، فمن وسطية الإسلام جاءت أحكام العدة مفصلة منها:

عدة الحامل: قوله تعالى ﴿ وَأُوْلَٰتُ ٱلْأَحْمَالِ أَجَلُهُنَّ أَن يَضَعْنَ حَمْلَهُنَّ ﴾.(١)

عدة المطلقة غير الحامل: إما أَن تكون من ذوات الحيض فعدتهن ثلاثة قروء وجاء قوله تعالى: ﴿ وَٱلْمُطَلَّقَٰتُ يَتَرَبَّصْنَ بِأَنفُسِهِنَّ ثَلَٰثَةَ قُرُوٓءٍ وَلَا يَحِلُّ لَهُنَّ أَن يَكْتُمْنَ مَا خَلَقَ ٱللَّهُ فِىٓ أَرْحَامِهِنَّ إِن كُنَّ يُؤْمِنَّ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ ﴾. (٢)

وإما أن تكون من اليائسات: فعدتهن ثلاثة أشهر: جاء القرآن الكريم بقوله تعالى ﴿ وَٱلَّٰٓـِٔى يَئِسْنَ مِنَ ٱلْمَحِيضِ مِن نِّسَآئِكُمْ إِنِ ٱرْتَبْتُمْ فَعِدَّتُهُنَّ ثَلَٰثَةُ أَشْهُرٍ وَٱلَّٰٓـِٔى لَمْ يَحِضْنَ ﴾ (١) ويلحق بهن اللاتى لم يحضن.

---

(٢) آية: (٤) من سورة الطلاق.

(١) آية: (٢٢٨) من سورة البقرة.

أما المطلقة قبل الدخول فلا عدة عليهن لقوله تعالى: ﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا نَكَحْتُمُ ٱلْمُؤْمِنَـٰتِ ثُمَّ طَلَّقْتُمُوهُنَّ مِن قَبْلِ أَن تَمَسُّوهُنَّ فَمَا لَكُمْ عَلَيْهِنَّ مِنْ عِدَّةٍ تَعْتَدُّونَهَا ۖ فَمَتِّعُوهُنَّ وَسَرِّحُوهُنَّ سَرَاحًا جَمِيلًا ﴾. (٢)(٣)

وسيطة الإسلام في الميراث: لقد كانت المرأة قبل أن تبزغ شمس الإسلام، لا تعطى شيئاً من الإرث، بحجة أنها لا تقاتل ولا تدافع عن حمى العشيرة، وكان العربي يقول: كيف نعطى المال من لا يركب فرساً، ولا يحمل سيفاً، ولا يقاتل عدواً، فكانوا يمنعونها من الإرث كما يمنعون الولد الصغير، فجاءت الشريعة الإسلامية فقررت أن لهن حقاً في الميراث يأخذنه بعزة وكرامة، لا مّنه فيه لأحد عليهن، وليس إحساناً بل هو فريضة الله لهن.

هذا شأن الإسلام مع المرأة رفع عن كاهلها الظلم، ودفع عنها العدوان، جعل لها نصيباً مفروضاً، ولكن نبتت في هذا الزمان نابتة خطيرة، وظهرت فكرة ضالة خبيثة، يقولون: إن الإسلام بخس المرأة حقها في الميراث، وجعلها على النصف من الرجل، يريدون على حد قولهم دفع الظلم عنها بتسويتها بالرجل في الميراث، هؤلاء هم ثعالب البشر، يمكرون بالمرأة ويغررون بها من أجل أن تتمرد على تعاليم الإسلام وتطالب بالمساواة، ومن العجب أن هؤلاء الذين يتباكون على المرأة هم أنفسهم الذين ضنوا عليها بلقمة العيش وبخلو عليها بالنفقة، وأجبروها على النزول إلى العمل، لتتكسب وتنفق على نفسها من مالها، إنهم لا ينظرون إلى المرأة إلا بمنظار الشهوة والمتعة يبخلون عليها بالنفقة، ويحرمونها من حرية التصرف في أموالها الخاصة إلا بإذن الرجل. (٤)

أما الإسلام فقد صانها وحفظ لها كرامتها وحقوقها، وجعل لها ذمتها المالية المستقلة، وأوجب على الزوج أن ينفق عليها وإن كان لها مال، وقد جاءت آيات المواريث لتؤكد هذه المعانى السامية للإسلام في قوله تعالى: ﴿ يُوصِيكُمُ ٱللَّهُ

---

(٢) آية: (٤) من سورة الطلاق.
(٣) آية: (٤٩) من سورة الأحزاب.
(٤) الوسطية في القرآن الكريم ص ٤٦٣ بتصرف.
(١) المواريث في الشريعة الإسلامية د/ محمد على الصابوني ص ١٩، ٢٠.

فِيٓ أَوۡلَٰدِكُمۡۖ لِلذَّكَرِ مِثۡلُ حَظِّ ٱلۡأُنثَيَيۡنِۚ ﴾ الآيات [1]، وبهذا يتبين منهج القرآن في الوسطيه في أحكام المواريث.

وسطية الإسلام في اليمين وكفارته: إذا حلف الشخص على شيء، إما أن يكون هذا من لغو اليمين: فلا كفارة فيه، لأنه يجرى على اللسان بدون قصد ويصعب التحرز عنه، وإما أن يعقد اليمين: ففيه كفارة صيانة لليمين والقسم، وهذا هو الأمر الوسط، فلا إفراط فيه ولا تفريط. وفي ذلك يقول الله تعالى: ﴿ لَا يُؤَاخِذُكُمُ ٱللَّهُ بِٱللَّغۡوِ فِيٓ أَيۡمَٰنِكُمۡ وَلَٰكِن يُؤَاخِذُكُم بِمَا عَقَّدتُّمُ ٱلۡأَيۡمَٰنَۖ فَكَفَّٰرَتُهُۥٓ إِطۡعَامُ عَشَرَةِ مَسَٰكِينَ مِنۡ أَوۡسَطِ مَا تُطۡعِمُونَ أَهۡلِيكُمۡ أَوۡ كِسۡوَتُهُمۡ أَوۡ تَحۡرِيرُ رَقَبَةٖۖ فَمَن لَّمۡ يَجِدۡ فَصِيَامُ ثَلَٰثَةِ أَيَّامٖۚ ذَٰلِكَ كَفَّٰرَةُ أَيۡمَٰنِكُمۡ إِذَا حَلَفۡتُمۡۚ وَٱحۡفَظُوٓاْ أَيۡمَٰنَكُمۡۚ كَذَٰلِكَ يُبَيِّنُ ٱللَّهُ لَكُمۡ ءَايَٰتِهِۦ لَعَلَّكُمۡ تَشۡكُرُونَ ﴾. [2]

والوسطية في هذه الآية من وجوه: الأول: إن إطعام المساكين يراعى فيه نوعيه الطعام أو الكسوة الوسط في ذلك، وجعل المقياس الذي يرجع إليه في اختيار هذا الوسط إطعام الرجل لأهله أو كسوتهم، ومن هنا تتحقق الوسطية حيث لم يؤمر بإخراج الأعلى فيعجز أو يبخل المكفر، وإنما أمره بالتوسط، كما أنه جعل الكفارة تدور بين ثلاثة أمور يخير بينهما الحانث وهي الإطعام والكسوة والإعتاق، وفي ذلك من التوسعة والتيسير ما لا يخفى، فإذا لم يجد الحالف ما سبق انتقل إلى الصيام فتحققت الوسطية المرادة شرعاً. [3]

❁❁❁

المطلب الرابع: التيسير ورفع الحرج:

إن المتدبر لكثير من الآيات القرآنية كقوله تعالى ﴿ وَمَا جَعَلَ عَلَيۡكُمۡ فِي ٱلدِّينِ مِنۡ حَرَجٖۚ ﴾ [4] وغيرها من الآيات التي تدل على يسر الشريعة الإسلامية في

(٢) الآيتان: (١١، ١٢) من سورة النساء.
(٣) آية: (٨٩) من سورة المائدة.
(١) الوسطية في القرآن الكريم ص ٤٧٦.
(٢) آية: (٧٨) من سورة الحج.

تشريع الأحكام، يتبين له أن ما نزل من آيات الأحكام في القرآن قد روعى فيها السهولة واليسر ورفع الحرج.

والحرج لغة: الضيق وهو يؤدي إلى المشقة.(١)

وإصطلاحاً: يطلق على كل ما تسبب في الضيق سواء أكان واقعاً على البدن أم على النفس أم عليهما معاً، أو ما يتعسر على العبد الخروج عما وقع فيه. (٢)

أدلة التيسير ورفع الحرج: لما كان الحرج يمكن أن يلتصق بالعبادة والمعاملة والعادة، وهذه الأشياء فيها ما فيها من المشقات اللازمة للفعل، جاءت الأدلة الكثيرة في القرآن والسنة تدل على أن الشارع الحكيم لم يرد بعباده إلا التيسير والتخفيف ولا يريد بأحكامه التضييق والتشديد.

أدلة التيسير والتخفيف: قوله تعالى: ﴿ يُرِيدُ ٱللَّهُ بِكُمُ ٱلْيُسْرَ وَلَا يُرِيدُ بِكُمُ ٱلْعُسْرَ ﴾. (٣)

وقوله سبحانه: ﴿ يُرِيدُ ٱللَّهُ أَن يُخَفِّفَ عَنكُمْ ۚ وَخُلِقَ ٱلْإِنسَٰنُ ضَعِيفًا ﴾. (٤)

وقوله عز وجل: ﴿ فَإِنَّ مَعَ ٱلْعُسْرِ يُسْرًا ۝ إِنَّ مَعَ ٱلْعُسْرِ يُسْرًا ﴾.(٥) فهذه الآيات تدل على سبيل المثال لا الحصر على أن الله لم يرد بعباده العسر، بل أراد لهم اليسر والسهولة في آداء التكاليف والأحكام.

ومن أدلة رفع الحرج: قوله تعالى: ﴿ لَا يُكَلِّفُ ٱللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا ۚ ﴾. (٦)

وقوله عز وجل: ﴿ وَمَا جَعَلَ عَلَيْكُمْ فِى ٱلدِّينِ مِنْ حَرَجٍ ۚ ﴾. (٧)

وقوله سبحانه: ﴿ مَا يُرِيدُ ٱللَّهُ لِيَجْعَلَ عَلَيْكُم مِّنْ حَرَجٍ وَلَٰكِن يُرِيدُ لِيُطَهِّرَكُمْ وَلِيُتِمَّ نِعْمَتَهُۥ عَلَيْكُمْ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴾.(٨)

---

(٣) المصباح المنير ص ٤٩ مادة حرج.
(٤) الموسوعة الفقهية ١٢٩/٢٨، معجم المصطلحات الفقهية د/ محمود عبد الرحمن ٥٦١/١.
(٥) آية: (١٨٥) من سورة البقرة.
(٦) آية: (٢٨) من سورة النساء.
(١) آية: (٥، ٦) من سورة الشرح.
(٢) آية: (٢٨٦) من سورة البقرة.
(٣) آية: (٧٨) من سورة الحج.
(٤) آية: (٦) من سورة المائدة.

والأدلة على ذلك كثيرة تدل على أن رفع الحرج والمشقة هو مقصود الله تعالى لهذه الأمة وأنه لم يكلفهم إلا بما يطيقون من ذلك قوله تعالى ﴿ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ لَا نُكَلِّفُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَآ أُوْلَٰٓئِكَ أَصْحَٰبُ ٱلْجَنَّةِ هُمْ فِيهَا خَٰلِدُونَ ﴾. (١)
وقوله سبحانه: ﴿ لِيُنفِقْ ذُو سَعَةٍ مِّن سَعَتِهِۦ وَمَن قُدِرَ عَلَيْهِ رِزْقُهُۥ فَلْيُنفِقْ مِمَّآ ءَاتَىٰهُ ﴾. (٢)

وفي السنة النبوية أيضاً الشيء الكثير من النصوص التى تدل على هذا المعنى نذكر منها:

١- ما روى عن أبي هريرة – رضى الله عنه – أن رسول الله ﷺ قال: " إن الدين يسر، ولن يشاد الدين أحدً إلا غلبه، فسددوا وقاربوا، وأبشروا، واستعينوا بالغدوة والروحة وشيء من الدلجة. (٣)

٢- قوله ﷺ لمعاذ بن جبل وأبى موسى الأشعرى – رضى الله عنهما – عندما أرسلهما إلى اليمن " يسروا ولا تعسروا وبشروا ولا تنفروا ". (٤)

وقوله ﷺ: " لولا أن أشق على أمتى لأمرتهم بالسواك ". (٥)

وعن عائشة – رضى الله عنها – أن رسول الله ﷺ قال: " إن الله لم يبعثى معنتاً، ولا متعنتاً، ولكن بعثنى معلماً ميسراً ". (٦)

وغيرها من الأحاديث وعمل الصحابة كثير مما يدل على التيسير ورفع الحرج على الأمة الإسلامية.

ومن مظاهر رفع الحرج ما يأتي:

١- **إسقاط العبادة:** في حالة قيام العذر كإسقاط الحج عند عدم الأمن في الطريق، وعدم النفقه، وإسقاط الصوم عند العجز عنه.

٢- **النقص من المفروض:** كالقصر في السفر.

٣- **الإبدال:** كإبدال التيمم بالوضوء عند فقد الماء أو عدم القدرة على استعماله.

---

(٥) آية: (٤٢) من سورة الأعراف.
(٦) آية: (٧) من سورة الطلاق.
(٧) أخرجه البخاري كتاب الإيمان – باب الدين يسر ١٦/١ رقم ٣٨.
(٨) أخرجه البخاري كتاب الأدب يسروا ولا تعسروا ٢٥٨/٨.
(٩) أخرجه مسلم كتاب الطهارة – باب السواك ١٤٣/٣.
(١) أخرجه مسلم ١١٠٥/٢ رقم (١٤٧٨).

٤- **التقديم:** كالجمع بعرفات.
٥- **التأخير:** كالجمع بمزدلفة.
٦- **التغيير:** كتغيير نظام الصلاة في وقت الخوف والقتال.
٧- **الترخيص:** كأكل الميتة عند المخمصة وشرب الخمر لإزالة الغصة، وقول كلمة الكفر عند الإكراه عليها.
٨- **التخيير:** كالتخيير في الكفارات ككفارة اليمين. (١)

❁❁❁

المطلب الخامس: الرخص الشرعية:

الرخصة في اللغة: من رخص هي اليسر والسهولة ومنه رخص السعر إذا تراجع وسهل الشراء. (٢)

وشرعاً: هي الحكم الثابت على خلاف الدليل لعذر وهو المشقة والحرج.

وقال الغزالى: هي عبارة عما وسع للمكلف في فعله لعذر وعجز عنه مع قيام السبب المحرم. **وقيل:** ما ثبت على خلاف دليل شرعي لمعارض راجح.(٣)

ومثاله إباحة الميتة للمضطر، ففيها استباحة المحظور الذى هو أكل الميتة مع قيام الحاظر أى: المانع الذي هو خبث الميتة الذى حرمت من أجله، وهو أيضاً ثابت على خلاف دليل شرعي هو: ﴿ حُرِّمَتْ عَلَيْكُمُ ٱلْمَيْتَةُ ﴾. (٤) لمعارض راجح كقوله ﴿ فَمَنِ ٱضْطُرَّ فِى مَخْمَصَةٍ غَيْرَ مُتَجَانِفٍ لِّإِثْمٍ ﴾.(٥)

---

(٢) تاريخ الفقه الإسلامي للسايس ص ٥٧، المنتقى في تاريخ التشريع د/ محمد أنيس عبادة ص ٥٠ وما بعدها، تاريخ التشريع د/ أحمد العليان ص ٦٩، وسطية الإسلام وواقعيته د/ حسين الترتورى ص ١٣٥.

(٣) معجم لغة الفقهاء د/ محمد رواس قلعجى ص ١٩٧ مادة رخص.

(١) المستصفى للإمام الغزالى ص ١٩٤، علم أصول الفقه د/ عبد الوهاب خلاف ص ١٤٢، مذكرة في أصوله الفقه د/ محمد الأمين الشنقيطى ص ٥٠، معجم المصطلحات والألفاظ الفقهية ١٣٥/٢.

(٢) آية: (٣) من سورة المائدة.

(٣) آية: (٣) من سورة المائدة.

وقد شرع الإسلام الرخص: لرفع الضيق ودفع الحرج، وكل ما يؤدي إلى مشقة زائدة على المكلف حالاً أو مآلاً، ورفع الحرج مقصد من مقاصد الشريعة وأصل من أصولها، فإن الشارع لم يكلف الناس بما يشق عليهم، وذلك لأن الأحكام الشرعية التكليفية طالبت المكلفين بأفعال، وطالبتهم بالكف عن أخرى، وقد يعرض للمكلف ما يجعل التكليف شاقاً غير قابل للاحتمال أو لا يمكن آداؤه إلا بمشقة غير عادية، ولكن يستطاع الآداء في الجملة فيرخص الله تعالى للمكلف أن يترك الفعل الذي يطالب به كالمريض في رمضان يرخص له في الإفطار على أن يقضيه بعد زوال العذر، وقصر الصلاة في السفر، والتيمم بالتراب، إذا فقد الماء للوضوء، أو عند المرض. (١)

قوله تعالى: ﴿ مَا يُرِيدُ ٱللَّهُ لِيَجۡعَلَ عَلَيۡكُم مِّنۡ حَرَجٖ وَلَٰكِن يُرِيدُ لِيُطَهِّرَكُمۡ ﴾. (٢)

أنواع الرخص:

من الرخص إباحة المحظورات عند الضرورات: فمن أكره على التلفظ بكلمة الكفر أبيح له تخفيفاً عليه أن يتلفظ بها وقلبه مطمئن بالإيمان. وكذا من أكره على أن يفطر في رمضان أو يتلف مال غيره، أبيح له المحظور الذي أكره عليه ترفيهاً عنه. ومن اضطره الجوع الشديد أو الظمأ الشديد إلى أكل الميتة أو شرب الخمر أبيح له أكلها وشربها: قال تعالى: ﴿ إِلَّا مَنۡ أُكۡرِهَ وَقَلۡبُهُۥ مُطۡمَئِنُّۢ بِٱلۡإِيمَٰنِ ﴾(٣)، وقال عز وجل: ﴿ وَقَدۡ فَصَّلَ لَكُم مَّا حَرَّمَ عَلَيۡكُمۡ إِلَّا مَا ٱضۡطُرِرۡتُمۡ إِلَيۡهِ ﴾ (٤)،وقال تعالى ﴿ فَمَنِ ٱضۡطُرَّ غَيۡرَ بَاغٖ وَلَا عَادٖ فَلَآ إِثۡمَ عَلَيۡهِۚ ﴾.(٥)

ومن الرخص إباحة ترك الواجب إذا وجد عذر يجعل أداءه شاقاً على المكلف: فمن كان في رمضان مريضاً أو على سفر أبيح له أن يفطر، ومن كان مسافراً أبيح له قصر الصلاة الرباعية أي أداؤها ركعتين بدل أربع: قال تعالى

---

(٤) أصول الفقه، الإمام محمد أبو زهرة ص ٥٠.

(٥) آية: (٦) من سورة المائدة.

(١) آية: (١٠٦) من سورة النحل.

(٢) آية: (١١٩) من سورة الأنعام.

(٣) آية: (١٧٣) من سورة البقرة.

﴿ فَمَن كَانَ مِنكُم مَّرِيضًا أَوْ عَلَىٰ سَفَرٍ فَعِدَّةٌ مِّنْ أَيَّامٍ أُخَرَ ﴾ (١)، وقال تعالى ﴿ وَإِذَا ضَرَبْتُمْ فِي الْأَرْضِ فَلَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَن تَقْصُرُوا مِنَ الصَّلَاةِ ﴾.(٢)

ومن الرخص: تصحيح بعض العقود الاستثنائية: التى لم تتوافر فيها الشروط العامة لانعقاد العقد وصحته، ولكن جرت بها معاملات الناس وصارت من حاجاتهم، كعقد السلم فإنه بيع معدوم وقت العقد، ولكن جرى به عرف الناس وصار من حاجياتهم، ولذا جاء في الحديث: " **نهى رسول الله عن بيع الإنسان ما ليس عنده، ورخص في السلم** "، وكذلك الاستصناع والإجارة وعقد الوصية، فهذه كلها عقود إذا طبقت عليها الشروط العامة لانعقاد العقود وصحتها في العاقد والمعقود عليه لما صحت، ولكن الشارع رخص فيها وأجازها سداً لحاجة الناس ودفعاً للحرج عنهم.

ومن الرخص أيضاً: نسخ الأحكام التى رفعها الله عنا وكانت من التكاليف الشاقة على الأمم قبلنا، وهي المشار إليها بقوله سبحانه: ﴿ رَبَّنَا وَلَا تَحْمِلْ عَلَيْنَا إِصْرًا كَمَا حَمَلْتَهُ عَلَى الَّذِينَ مِن قَبْلِنَا ﴾ (٣)، مثل التكليف بقرض موضع النجاسة من الثوب، وأداء ربع المال في الزكاة، وقتل النفس توبة من المعصية، وعدم جواز الصلاة في غير المساجد – وتسمية هذه رخصاً فيها توسع – ومن هذه الأنواع يتبين أن ترخيص الشارع للتخفيف عن المكلفين تارة بإباحة المحرم للضرورة، أو بإباحة ترك الواجب للعذر، أو باستثناء بعض العقود من الأحكام الكلية للحاجة، كلها ترجع عند التحقيق إلى إباحة المحظور للضرورة أو الحاجة.

وقد قسم علماء الحنفية الرخصة إلى قسمين: رخصة ترفيه، ورخصة إسقاط: وفرقوا بينهما بأن رخصة الترفيه يكون حكم العزيمة معها باقياً ودليله قائماً ولكن رخص في تركه تخفيفاً وترفيهاً عن المكلف، ومثلوا لهذا بمن أكره على التلفظ بكلمة الكفر، أو على إتلاف مال غيره، أو على الفطر فى رمضان. وقالوا:

---

(٤) آية: (١٨٤) من سورة البقرة.
(٥) آية: (١٠١) من سورة النساء.
(١) آية: (٢٨٦) من سورة البقرة.

إن النص المرخص لم يسقط حرمة التلفظ بكلمة الكفر عمن أكره عليه، ولكن استثنى من أكره من غضب الله عليه واستحقاقه العذاب، قال تعالى ﴿ مَن كَفَرَ بِٱللَّهِ مِنۢ بَعۡدِ إِيمَٰنِهِۦٓ إِلَّا مَنۡ أُكۡرِهَ وَقَلۡبُهُۥ مُطۡمَئِنُّۢ بِٱلۡإِيمَٰنِ وَلَٰكِن مَّن شَرَحَ بِٱلۡكُفۡرِ صَدۡرٗا فَعَلَيۡهِمۡ غَضَبٞ مِّنَ ٱللَّهِ ﴾ [1]، ولكن يلاحظ أن الله تعالى قال: ﴿ فَمَنِ ٱضۡطُرَّ غَيۡرَ بَاغٖ وَلَا عَادٖ فَلَآ إِثۡمَ عَلَيۡهِۚ ﴾.[2]، فقد استثنى المضطر من الإثم، كما استثنى المكره على التلفظ من الإثم واستحقاق العذاب.

بل إن قوله سبحانه: ﴿ فَإِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٞ رَّحِيمٞ ﴾ [3]، يشعر بأنه فعل محرماً، ولكن الله لم يعاقبه عليه رحمة منه. وقالوا كذلك: لم يسقط الإكراه حرمة إتلاف مال الغير ولا حرمة الفطر في رمضان، بل الحرمة مع الإكراه ثابتة، وإنما المقصود بالإباحة الترفيه عن المكلف، ولبقاء هذه الحرمة قالوا: إن العمل بالعزيمة أولى وإن من تمسك بالعزيمة واحتمل ما أكره عليه حتى مات، مات شهيداً.

وأما رخصة الإسقاط: فلا يكون حكم العزيمة معها باقياً، بل إن الحال التي استوجبت الترخيص أسقطت حكم العزيمة، وجعلت الحكم المشروع فيها هو الرخصة. ومثلوا لهذا بإباحة أكل الميتة أو شرب الخمر عند الجوع والظمأ، وقصر الصلاة في السفر. فالمضطر إلى أكل الميتة أو شرب الخمر سقطت حرمتهما عنه في حال اضطراره، لأن الله سبحانه بعد أن بين هذه المحرمات قال: ﴿ فَمَنِ ٱضۡطُرَّ فِي مَخۡمَصَةٍ غَيۡرَ مُتَجَانِفٖ لِّإِثۡمٖ فَإِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٞ رَّحِيمٞ ﴾ [4] وهذا يقتضي رفع التحريم ولو لم يأكل أو يشرب أثم. والمسافر سقطت عنه الأربع ولو صلى أربعة كانت الركعتان الأخيرتان نافلة وتطوعاً لا من المفروض. [5]

والحق أن النصوص التي شرعت الرخص لا يدخل ظاهرها على هذا التفريق، فإن الله سبحانه وتعالى قال: ﴿ وَمَا لَكُمۡ أَلَّا تَأۡكُلُواْ مِمَّا ذُكِرَ ٱسۡمُ ٱللَّهِ عَلَيۡهِ

(٢) آية: (١٠٦) من سورة النحل.
(٣) آية: (١٧٣) من سورة البقرة.
(٤) آية: (٣) من سورة المائدة.
(١) آية: (٣) من سورة المائدة.
(٢) علم أصول الفقه د/ عبد الوهاب خلاف ص ١٤٢، وما بعدها.

﴿وَقَدْ فَصَّلَ لَكُم مَّا حَرَّمَ عَلَيْكُمْ إِلَّا مَا اضْطُرِرْتُمْ إِلَيْهِ﴾ (١)، فكل محرم عند الضرورة يباح بلا تفريق بين محرم ومحرم.

فالذي يؤخذ من النصوص أن الرخص كلها شرعت للترفيه والتخفيف عن المكلف بإباحة فعل المحرم، وأن حكم الحظر ودليله قائمان. ومعنى إباحة المحظور ترخيصاً أنه لا إثم في فعله، وإلى هذه الإشارة بقوله تعالى ﴿فَإِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾ (٢)فللمكلف أن يتبع الرخصة تخفيفاً عن نفسه، وله أن يتبع العزيمة محتملاً ما فيها من مشقة، إلا إذا كانت المشقة يناله من احتمالها ضرر، فإنه يجب عليه اتقاء الضرر واتباع الرخصة لقوله تعالى: ﴿وَلَا تُلْقُوا بِأَيْدِيكُمْ إِلَى التَّهْلُكَةِ﴾ (٣)، وقوله عز من قائل: ﴿وَلَا تَقْتُلُوا أَنفُسَكُمْ﴾ (٤)، والله سبحانه يجب أن تتبع رخصه، كما يجب أن تؤتى عزائمه، لأنه سبحانه وتعالى ما جعل على الناس في الدين من حرج.

❁❁❁

المطلب السادس: **التدرج في التشريع**:

التدرج: هو الانتقال من الحكم السهل إلى الحكم الصعب لتهيئة النفس إلى قبول الحكم:

ولقد بعث النبي ﷺ والعرب في إباحة مطلقة، فلا حدود لحرية، بل فوضى جاهلية ولا ضابط لشهوة بل تحكمت فيهم غرائز متعددة لا يريدون التحول عنها، فكان التدرج في تحريم هذه العادات بمثابة ترويض النفوس على تقبل الأحكام.. والتمهل في استئصال العادات القبيحة المتأصلة في النفوس لا سيما العادات المتوارثة عبر قرون طويلة، وتخفيفاً على الناس وتمشياً مع فطرة الإنسان التي يتطلب التعامل معها التزام التدرج لتغييرها وحسن الارتقاء بها، وعلى هذا وردت الأحكام التكليفية شيئاً فشيئاً ليكون السابق في الأحكام معد للنفوس ومهياً

(٣) آية: (١١٩) من سورة الأنعام.
(٤) آية: (٣) من سورة المائدة.
(٥) آية: (١٩٥) من سورة البقرة.
(٦) آية: (٢٩) من سورة النساء.

لقبول اللاحق، وكان أغلب هذه الأحكام ينزل بعد أسباب تقتضيه، فيكون أوقع في النفس وأقرب إلى الانقياد.

ومن أمثلة التدرج في التشريع:

الصلاة: شرعت الصلاة أولاً ركعتين بالغداة، وركعتين بالعشى: رأفة بالناس ورحمة بهم، لأنهم كانوا حديثى عهد بالإسلام، ولم يكونوا قد تذوقوا حلاوتها بعد، ولا عرفوا لذة المناجاة فيها، فلما اطمأنت بها نفوسهم زادها الله على حسب ما اقتضته الحكمة العلية، أقرت في السفر ركعتين، وزيدت في الحضر أربعاً في الظهر والعصر والعشاء.

والصيام: فرض أولاً على التخيير من شاء صام ومن شاء أفطر وأطعم عن كل يوم مسكين، ثم أصبح الصيام فرضاً لكل مقيم صحيح لا عذر له بقوله تعالى: ﴿ فَمَن شَهِدَ مِنكُمُ ٱلشَّهْرَ فَلْيَصُمْهُ ﴾. (١)

الزكاة: فرضت أولاً بمكة مطلقة غير مقيدة بقدر معلوم، ثم جاء تحديد النصاب وكذا أصنافها ومصادرها بالمدينة. (٢)

التدريج في تحريم الخمر: كانت الخمر لها من الأهمية في نفوس العرب قدراً كبيراً في حياتهم فكانوا يقبلون عليها صباح مساء ويعدون تناولها مفخرة كبيرة، **وقد اقتضت الحكمة الإلهية أن يتدرج القرآن في تشريع أحكامها.**

فلم يصرح لهم بتحريمها بادىء ذى بدء، بل أجابهم حينما سئل النبي ﷺ عن الخمر والميسر، فأجابهم الله تعالى عن السؤال بقوله تعالى: ﴿ يَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلْخَمْرِ وَٱلْمَيْسِرِ قُلْ فِيهِمَآ إِثْمٌ كَبِيرٌ وَمَنَـٰفِعُ لِلنَّاسِ وَإِثْمُهُمَآ أَكْبَرُ مِن نَّفْعِهِمَا ﴾. (٣)

فليس في النص الكريم النهي الصريح عنها، ولا يفهم طلب الكف عنها إلا الخبير بسر التشريع، لأن ما كثر إثمة يحرم فعله.

---

(١) آية: (١٨٥) من سورة البقرة.

(١) تاريخ الفقه الإسلامي د/ محمد على السايس ص ٦٤، تاريخ التشريع د/ أحمد عثمان ص ٤٣.

(٢) آية: (٢١٩) من سورة البقرة.

ثم جاء النهي عن شربها وقت الصلاة بقوله تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَقۡرَبُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَأَنتُمۡ سُكَٰرَىٰ حَتَّىٰ تَعۡلَمُواْ مَا تَقُولُونَ ﴾ [1]، فنهاهم عن تناولها وقت الصلاة مع تكرارها خمس مرات في اليوم وفي ذلك تطبيق لفرض المزاولة العملية لعادة الشرب.

ثم جاء التصريح بالنهي عنها مطلقاً وتحريم تناولها فقال تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِنَّمَا ٱلۡخَمۡرُ وَٱلۡمَيۡسِرُ وَٱلۡأَنصَابُ وَٱلۡأَزۡلَٰمُ رِجۡسٞ مِّنۡ عَمَلِ ٱلشَّيۡطَٰنِ فَٱجۡتَنِبُوهُ لَعَلَّكُمۡ تُفۡلِحُونَ ۝ إِنَّمَا يُرِيدُ ٱلشَّيۡطَٰنُ أَن يُوقِعَ بَيۡنَكُمُ ٱلۡعَدَٰوَةَ وَٱلۡبَغۡضَآءَ فِي ٱلۡخَمۡرِ وَٱلۡمَيۡسِرِ وَيَصُدَّكُمۡ عَن ذِكۡرِ ٱللَّهِ وَعَنِ ٱلصَّلَوٰةِۖ فَهَلۡ أَنتُم مُّنتَهُونَ ﴾. [2]

وفي ذلك من اليسر والسهولة على الناس في تلقى أحكام الشرع لأكبر دليل على وسطية القرآن في التدرج.

التدرج في تحريم الربا: كان الناس في الجاهلية يتعاملون بالربا بمغالات شديدة، فإذا كان لشخص على آخر دين إلى أجل، وحل وقت السداد، ولم يكن عند المدين ما يدفعه قال له الدائن زد في المال أزيدك في الأجل، فيأخذ بسبب هذه الزيادة أضعاف المال.

فلما جاء الإسلام دين الرحمة والعدل عالج هذا الشر الذي يزرع العداوة والبغضاء في النفوس ويدعو إلى الضعف والفرقة، ويخلق مجتمع تسوده الأنانية فحرم الربا ليجمع الأمة على الحب والتعاون والمساواة، وعالج المفاسد التى تترتب على هذا النوع من أكل أموال الناس بالباطل.

ولذلك جاء تحريم الربا عبر مراحل عدة إلى أن وصل إلى مرحلة التحريم المؤبد:

المرحلة الأولى: هي مرحلة المقارنة بين الحلال والحرام وبين ما يريده الله و مالا يريده سبحانه فقال تعالى ﴿ وَمَآ ءَاتَيۡتُم مِّن رِّبٗا لِّيَرۡبُوَاْ فِيٓ أَمۡوَٰلِ ٱلنَّاسِ فَلَا يَرۡبُواْ عِندَ ٱللَّهِۖ وَمَآ ءَاتَيۡتُم مِّن زَكَوٰةٖ تُرِيدُونَ وَجۡهَ ٱللَّهِ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡمُضۡعِفُونَ ﴾.[3]

---

(٣) آية: (٤٣) من سورة النساء.
(٤) الآيتان: (٩٠-٩١) من سورة المائدة.
(١) آية: (٣٩) من سورة الروم.

فليس في الآية نصاً صريحاً في تحريم الربا، وإنما قارنت الآية بين الربا والزكاة، فالربا لا يكثر ولا يزيد عند الله، وأما الزكاة فهى التى يضاعف الله أجرها ويبارك في ثوابها، وهذه المقارنة تلفت النظر إلى الفرق بين الربا والصدقة، وأن الزيادة المعتبرة هي التى تزيد عند الله لا عند الناس.

المرحلة الثانية: قص القرآن علينا سيرة اليهود الذين حرم الله عليهم الربا فأكلوه فعاقبهم الله بمعصيتهم، فقال تعالى: ﴿ فَبِظُلْمٍ مِّنَ ٱلَّذِينَ هَادُواْ حَرَّمْنَا عَلَيْهِمْ طَيِّبَٰتٍ أُحِلَّتْ لَهُمْ وَبِصَدِّهِمْ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ كَثِيرًا ﴿١٦٠﴾ وَأَخْذِهِمُ ٱلرِّبَوٰاْ وَقَدْ نُهُواْ عَنْهُ وَأَكْلِهِمْ أَمْوَٰلَ ٱلنَّاسِ بِٱلْبَٰطِلِ ۚ وَأَعْتَدْنَا لِلْكَٰفِرِينَ مِنْهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا ﴾ . (١)

فبين الله تعالى: إنه بسبب ظلم اليهود بما ارتكبوه من الذنوب العظيمة حرم عليهم طيبات كانت حلالاً لهم، وأخذهم الربا وقد نهاهم الله عنه فتناولوه وأخذوه واحتالو عليه بأنواع من الحيل وصنوف الشبه وأكلوا أموال الناس بالباطل. (٢)

المرحلة الثالثة: قوله تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَأْكُلُواْ ٱلرِّبَوٰٓاْ أَضْعَٰفًا مُّضَٰعَفَةً ۖ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴿١٣٠﴾ وَٱتَّقُواْ ٱلنَّارَ ٱلَّتِىٓ أُعِدَّتْ لِلْكَٰفِرِينَ ﴿١٣١﴾ وَأَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَٱلرَّسُولَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ ﴾ (٣)، فقد جاء النهي عن الربا في هذه الآيات ولكنه نص على تحريم المضاعفة فكان ذلك تهيئة للنفوس لتلقى الأمر بالتحريم القاطع لكل أنواع الربا قل أو كثر كما سيأتى.

المرحلة الرابعة: قوله تعالى: ﴿ ٱلَّذِينَ يَأْكُلُونَ ٱلرِّبَوٰاْ لَا يَقُومُونَ إِلَّا كَمَا يَقُومُ ٱلَّذِى يَتَخَبَّطُهُ ٱلشَّيْطَٰنُ مِنَ ٱلْمَسِّ ۚ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ قَالُوٓاْ إِنَّمَا ٱلْبَيْعُ مِثْلُ ٱلرِّبَوٰاْ ۗ وَأَحَلَّ ٱللَّهُ ٱلْبَيْعَ وَحَرَّمَ ٱلرِّبَوٰاْ ۚ فَمَن جَآءَهُۥ مَوْعِظَةٌ مِّن رَّبِّهِۦ فَٱنتَهَىٰ فَلَهُۥ مَا سَلَفَ وَأَمْرُهُۥٓ إِلَى ٱللَّهِ ۖ وَمَنْ عَادَ فَأُوْلَٰٓئِكَ أَصْحَٰبُ ٱلنَّارِ ۖ هُمْ فِيهَا خَٰلِدُونَ ﴿٢٧٥﴾ يَمْحَقُ ٱللَّهُ ٱلرِّبَوٰاْ وَيُرْبِى ٱلصَّدَقَٰتِ ۗ وَٱللَّهُ لَا يُحِبُّ كُلَّ كَفَّارٍ أَثِيمٍ ﴿٢٧٦﴾ إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ وَأَقَامُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَوُاْ ٱلزَّكَوٰةَ لَهُمْ أَجْرُهُمْ عِندَ رَبِّهِمْ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿٢٧٧﴾ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ

(٢) الآيتان: (١٦٠-١٦١) من سورة النساء.
(١) تفسير ابن كثير للصابونى ١/١٦٤.
(٢) الآيات: (١٣٠: ١٣٢) من سورة آل عمران.

ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَذَرُواْ مَا بَقِيَ مِنَ ٱلرِّبَوٰٓاْ إِن كُنتُم مُّؤۡمِنِينَ ﴿٢٧٨﴾ فَإِن لَّمۡ تَفۡعَلُواْ فَأۡذَنُواْ بِحَرۡبٖ مِّنَ ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦۖ وَإِن تُبۡتُمۡ فَلَكُمۡ رُءُوسُ أَمۡوَٰلِكُمۡ لَا تَظۡلِمُونَ وَلَا تُظۡلَمُونَ ﴾. (١)

من التدرج في التشريع الدعوة إلى الله تعالى: كانت الدعوة في بداية الأمر سرية، ثم انتقلت إلى الجهر بقوله تعالى: ﴿ فَٱصۡدَعۡ بِمَا تُؤۡمَرُ ﴾ (٢)، ثم أمر الرسول ﷺ بدعوة عشيرته الأقربين فنزل قوله سبحانه: ﴿ وَأَنذِرۡ عَشِيرَتَكَ ٱلۡأَقۡرَبِينَ ﴾ (٣)، ثم دعوة أهل مكة بقوله عز من قائل: ﴿ لِّتُنذِرَ أُمَّ ٱلۡقُرَىٰ وَمَنۡ حَوۡلَهَا ﴾(٤)، ثم دعوة العالمين كافة بقوله تعالى ﴿ وَمَآ أَرۡسَلۡنَٰكَ إِلَّا رَحۡمَةٗ لِّلۡعَٰلَمِينَ ﴾ (٥) وقوله عز وجل ﴿ وَمَآ أَرۡسَلۡنَٰكَ إِلَّا كَآفَّةٗ لِّلنَّاسِ بَشِيرٗا وَنَذِيرٗا ﴾.(٦)

من التدرج في التشريع تحريم الزنا: كانت عقوبة الزنى في صدر الإسلام لا تعدو الحبس في البيوت والإيذاء بالقول في قوله تعالى: ﴿ وَٱلَّٰتِي يَأۡتِينَ ٱلۡفَٰحِشَةَ مِن نِّسَآئِكُمۡ فَٱسۡتَشۡهِدُواْ عَلَيۡهِنَّ أَرۡبَعٗة مِّنكُمۡۖ فَإِن شَهِدُواْ فَأَمۡسِكُوهُنَّ فِي ٱلۡبُيُوتِ ﴾ (٧) ثم جعلها الله تعالى الرجم للمحصن والجلد للبكر، أما الرجم فقد ثبت بالسنة، وأما الجلد فبقوله عز وجل: ﴿ ٱلزَّانِيَةُ وَٱلزَّانِي فَٱجۡلِدُواْ كُلَّ وَٰحِدٖ مِّنۡهُمَا مِاْئَةَ جَلۡدَةٖ ﴾. (٨)

القتال: كان المسلمون في أول الدعوة في قلة العدد وضعف العدة والشوكة فاقتضت الحكمة أن يأمرهم الله تعالى بالعفو والإعراض عن الجاهلين، وحملهم بالصبر على مكاره الأعداء فقال تعالى: ﴿ خُذِ ٱلۡعَفۡوَ وَأۡمُرۡ بِٱلۡعُرۡفِ وَأَعۡرِضۡ عَنِ ٱلۡجَٰهِلِينَ ﴾.(٩)

---

(٣) الآيات: (٢٧٥: ٢٧٩) من سورة البقرة.
(٤) آية: (٩٤) من سورة الحجر.
(٥) آية: (٢١٤) من سورة الشعراء.
(٦) آية: (٧) من سورة الشورى.
(١) آية: (١٠٧) من سورة الأنبياء.
(٢) آية: (٢٨) من سورة سبأ.
(٣) آية: (١٥) من سورة النساء.
(٤) آية: (٢) من سورة النور.
(٥) آية: (١٩٩) من سورة الأعراف.

وقال عز وجل: ﴿ وَإِنَّ ٱلسَّاعَةَ لَأٓتِيَةٌ فَٱصۡفَحِ ٱلصَّفۡحَ ٱلۡجَمِيلَ ﴾ فلما دخل الناس في دين الله أفواجاً أذن لهم في القتال ليدافعوا عن أنفسهم وليدركوا لذة النصر فقال سبحانه ﴿ أُذِنَ لِلَّذِينَ يُقَٰتَلُونَ بِأَنَّهُمۡ ظُلِمُواْۚ وَإِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ نَصۡرِهِمۡ لَقَدِيرٌ ﴾[1]

ثم أمرهم الله تعالى بقتال من يقاتلهم فقال عز من قائل ﴿ وَقَٰتِلُواْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ ٱلَّذِينَ يُقَٰتِلُونَكُمۡ وَلَا تَعۡتَدُوٓاْۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ ٱلۡمُعۡتَدِينَ ﴾ [2]

وقوله عز وجل: ﴿ وَقَٰتِلُواْ ٱلۡمُشۡرِكِينَ كَآفَّةٗ كَمَا يُقَٰتِلُونَكُمۡ كَآفَّةٗۚ وَٱعۡلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلۡمُتَّقِينَ ﴾. [3][4]

وسطية القرآن في حل طعام أهل الكتاب:

يقول الله تعالى: ﴿ ٱلۡيَوۡمَ أُحِلَّ لَكُمُ ٱلطَّيِّبَٰتُۖ وَطَعَامُ ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلۡكِتَٰبَ حِلّٞ لَّكُمۡ وَطَعَامُكُمۡ حِلّٞ لَّهُمۡۖ وَٱلۡمُحۡصَنَٰتُ مِنَ ٱلۡمُؤۡمِنَٰتِ وَٱلۡمُحۡصَنَٰتُ مِنَ ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلۡكِتَٰبَ مِن قَبۡلِكُمۡ إِذَآ ءَاتَيۡتُمُوهُنَّ أُجُورَهُنَّ مُحۡصِنِينَ غَيۡرَ مُسَٰفِحِينَ وَلَا مُتَّخِذِيٓ أَخۡدَانٖۗ وَمَن يَكۡفُرۡ بِٱلۡإِيمَٰنِ فَقَدۡ حَبِطَ عَمَلُهُۥ وَهُوَ فِي ٱلۡأٓخِرَةِ مِنَ ٱلۡخَٰسِرِينَ ﴾. [5]

في هذه الآيات: أحل الله تعالى للمؤمنين ذبائع أهل الكتاب من اليهود والنصارى، لأنهم يعتقدون تحريم الذبح لغير الله تعالى، ولا يذكرون على ذبائحهم إلا اسم الله، وإن اعتقدوا فيه تعالى ما هو منزه عنه تعالى وتقدس. [6]

وهنا تظر الحكمة من وسطية القرآن في التشريع، والغرض من ذلك هو العمل على التقارب بين أهل الكتاب ومعاملتهم، فتظهر سماحة الإسلام، والعمل بمبادئه السمحة، فيدخلوا في الإسلام طائعين، معترفين بعدالته ووسطيته.

❁❁❁

المطلب السابع: الوسطية والاعتدال في المعاملات المالية

---

(٦) آية: (٣٩) من سورة الحج.
(٧) آية: (١٩٠) من سورة البقرة.
(٨) آية: (٣٦) من سورة التوبة.
(٩) المنتقى في تاريخ التشريع د/ محمد أنيس عبادة ص ٥٥، تاريخ الفقه الإسلامي د/ محمد على السايس ص ٦٤، وانظر معالم المنهج الإسلامي د/ محمد عمارة ص ٢٢٧.
(١) آية: (٥) من سورة المائدة.
(٢) تفسير الطبرى ٥٩٠/٩، تفسير ابن كثير ٤٨٧/١.

والعلاقات الاجتماعية والأخلاق:

أولاً: الوسطية والاعتدال في مجال المعاملات المالية:

من وسطية الإسلام أن وضع مبادىء لمعاملات المسلمين عند البيع والشراء، وأمر أن يكون البيع عن تراض، ونهى عن المماطلة في آداء الحقوق والديون من ذلك قوله تعالى: ﴿ إِلَّآ أَن تَكُونَ تِجَٰرَةً عَن تَرَاضٍ مِّنكُمۡۚ ﴾ (١) وقوله ﷺ فيما رواه أبا سعيد الخدرى: " إنما البيع عن تراض " (٢).

كما حث الإسلام على السماحة والسهولة عند البيع والشراء وجعله فضيلة يثاب عليها العبد لقوله ﷺ فيما رواه جابر بن عبد الله – رضى الله عنه – أن رسول الله ﷺ قال: رحم الله عبداً سمحاً إذا باع، سمحاً إذا اشترى، سمحاً إذا اقتضى " (٣)

وحرم المماطلة في آداء الديون عند القدرة على الآداء لما روى عن أبى هريرة – رضى الله عنه قال – قال رسول الله ﷺ " مطل الغنى ظلم، وإذا أتبع أحدكم على ملىء فليتبع ". (٤)

ثم حث الإسلام على التخفيف على المعسر والصبر عليه في قوله تعالى ﴿ وَإِن كَانَ ذُو عُسۡرَةٖ فَنَظِرَةٌ إِلَىٰ مَيۡسَرَةٖۚ وَأَن تَصَدَّقُواْ خَيۡرٞ لَّكُمۡۖ إِن كُنتُمۡ تَعۡلَمُونَ ﴾. (٥)

ثانيا: الوسطية والاعتدال في مجال العلاقات الاجتماعية: الحث على التراحم والتعاون وإغاثة الملهوف يقول الله تعالى: ﴿ وَمَآ أَرۡسَلۡنَٰكَ إِلَّا رَحۡمَةٗ لِّلۡعَٰلَمِينَ ﴾ (١) وقوله عز وجل: ﴿ خُذِ ٱلۡعَفۡوَ وَأۡمُرۡ بِٱلۡعُرۡفِ وَأَعۡرِضۡ عَنِ ٱلۡجَٰهِلِينَ ﴾. (٢)

---

(٣) آية: (٢٩) من سورة النساء.

(٤) أخرجه ابن ماجة في سننه كتاب التجارات باب بيع الخيار، ص ٥٠٧ الحديث رقم (٢١٨٥).

(١) أخرجه ابن ماجة في سننه كتاب التجارات – باب السماحة في البيع، ص ٥١١ الحديث رقم (٢٢٠٣).

(٢) أخرجه البخارى في صحيحه، الحديث رقم (٢٢٧٨)، أخرجه مسلم في صحيحه كتاب المساقاه، باب فضل إنظار المعسر ١١٩٤/٣ الحديث (١٥٦٤)، و أخرجه ابن ماجة في سننه كتاب الصدقات، باب الحواله ص ٥٥٦، الحديث رقم (٢٤٠٣).

(٣) آية: (٢٨٠) من سورة البقرة.

وقوله ﷺ فيما رواه أبو هريرة – رضي الله عنه – " من نفس عن مؤمن كربة من كرب الدنيا نفس الله عنه كرب يوم القيامة، ومن يسر على معسر، يسر الله عليه في الدنيا والآخرة، ومن ستر مسلماً، ستره الله في الدنيا والآخرة، والله في عون العبد ما كان العبد في عون أخيه، ومن سلك طريقاً يلتمس فيه علماً، سهل الله له به طريقاً إلى الجنة، وما اجتمع قوم في بيت من بيوت الله، يتلون كتاب الله، ويتدارسونه بينهم، إلا نزلت عليهم السكينة، وغشيتهم الرحمة وحفتهم الملائكة، وذكرهم الله فيمن عنده. ومن بطأ به عمله، لم يسرع به نسبه ". (٣)

ومن أهم العلاقات الاجتماعية الإحسان إلى الأهل والقرابة وصلة الرحم يقول تعالى: ﴿ لَّيْسَ ٱلْبِرَّ أَن تُوَلُّوا۟ وُجُوهَكُمْ قِبَلَ ٱلْمَشْرِقِ وَٱلْمَغْرِبِ وَلَٰكِنَّ ٱلْبِرَّ مَنْ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةِ وَٱلْكِتَٰبِ وَٱلنَّبِيِّۦنَ وَءَاتَى ٱلْمَالَ عَلَىٰ حُبِّهِۦ ذَوِى ٱلْقُرْبَىٰ وَٱلْيَتَٰمَىٰ وَٱلْمَسَٰكِينَ وَٱبْنَ ٱلسَّبِيلِ وَٱلسَّآئِلِينَ وَفِى ٱلرِّقَابِ ﴾.(٤)

ثم حث الإسلام على كفاية الفقراء والإحسان إلى اليتيم في قوله تعالى: ﴿ مَّثَلُ ٱلَّذِينَ يُنفِقُونَ أَمْوَٰلَهُمْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ كَمَثَلِ حَبَّةٍ أَنۢبَتَتْ سَبْعَ سَنَابِلَ فِى كُلِّ سُنۢبُلَةٍ مِّا۟ئَةُ حَبَّةٍ ۗ وَٱللَّهُ يُضَٰعِفُ لِمَن يَشَآءُ ۗ وَٱللَّهُ وَٰسِعٌ عَلِيمٌ ﴾.(٥)

وقوله تعالى ﴿ مَّن ذَا ٱلَّذِى يُقْرِضُ ٱللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا فَيُضَٰعِفَهُۥ لَهُۥٓ أَضْعَافًا كَثِيرَةً ۚ وَٱللَّهُ يَقْبِضُ وَيَبْصُۜطُ ۖ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴾.(٦)

وقوله سبحانه: ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَأْكُلُونَ أَمْوَٰلَ ٱلْيَتَٰمَىٰ ظُلْمًا إِنَّمَا يَأْكُلُونَ فِى بُطُونِهِمْ نَارًا ۖ وَسَيَصْلَوْنَ سَعِيرًا ﴾. (٧)

وقوله ﷺ " أنا وكافل اليتيم كهاتين، وأشار بالسبابة والوسطى ".

---

(٤) آية: (١٠٧) من سورة الأنبياء.
(٥) آية: (١٩٩) من سورة الأعراف.
(١) أخرجه مسلم فى صحيحه، كتاب الذكر والدعاء والتوبة والاستغفار – باب فضل الاجتماع على تلاوة القرآن، وعلى الذكر ٤/٢٠٧٤ الحديث رقم (٢٦٩٩).
(٢) آية: (١٧٧) من سورة البقرة .
(٣) آية: (٢٦١) من سورة البقرة.
(٤) آية: (٢٤٥) من سورة البقرة.
(٥) آية: (١٠) من سورة النساء.

ومن أصول الهدى القرآنى التوسط والاعتدال في معاملة الأخرين، بما يحقق الغاية المنشودة وينأى بالمسلم أن يكون فاحش القول والفعل وفي ذلك يقول الله تعالى ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ يَأۡمُرُ بِٱلۡعَدۡلِ وَٱلۡإِحۡسَٰنِ وَإِيتَآيِٕ ذِي ٱلۡقُرۡبَىٰ وَيَنۡهَىٰ عَنِ ٱلۡفَحۡشَآءِ وَٱلۡمُنكَرِ وَٱلۡبَغۡيِۚ يَعِظُكُمۡ لَعَلَّكُمۡ تَذَكَّرُونَ ﴾ (١)، وقوله تعالى ﴿ وَقُولُواْ لِلنَّاسِ حُسۡنٗا ﴾ (٢) وفي السنة الأحاديث كثيرة عن التوسط في معاملة الآخرين وعدم إيذائهم وحبهم لله تعالى.

منها ما روى عن أنس بن مالك – رضى الله عنه قال: قال: رسول الله ﷺ قال " لا يؤمن أحدكم حتى يحب لأخيه (أو قال لجاره) ما يحب لنفسه".(٣)(٤)

والشواهد في القرآن الكريم والسنة النبوية لأوضح مثال على العدل والوسطية التى أمر بها الإسلام وطبقها الرسول ﷺ وأمر المؤمنين بالتأسى بها.

الوسطية في مجال الأخلاق:

إن الأخلاق في القرآن الكريم لم تدع جانباً من جوانب الحياة الإنسانية إلا رسمت له المنهج الأمثل للسلوك الرفيع، سواء أكانت روحية أو جسمية، دينية، عقلية، عاطفية، فردية، أو اجتماعية، أذكر بعضها على سبيل المثال لا الحصر:

١ – ما يتعلق بحق الفرد في كافة نواحية:

– فهو جسم له ضروراته وحاجاته قال تعالى: ﴿ وَكُلُواْ وَٱشۡرَبُواْ وَلَا تُسۡرِفُوٓاْۚ إِنَّهُۥ لَا يُحِبُّ ٱلۡمُسۡرِفِينَ ﴾ (٥)

– من ناحية العقل والمواهب والآفاق قال عز وجل: ﴿ قُلِ ٱنظُرُواْ مَاذَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِۚ ﴾. (٦)

---

(٦) آية: (٩٠) من سورة النحل.

(٧) آية: (٨٣) من سورة البقرة.

(١) أخرجه مسلم في صحيحه كتاب الإيمان، باب الدليل على أن من خصال الإيمان أن يحب لأخيه المسلم ما يحب لنفسه من الخير.

(٢) المعالم والضوابط في مفهوم الوسطية د/ وهبة الزحيلى بحث ضمن مجلد قضايا الفقه والفكر المعاصر ص ٥٧٥.

(٣) آية: (٣١) من سورة الأعراف.

(٤) آية: (١٠١) من سورة يونس.

– من ناحية المشاعر ودوافعها وعواطفها يقول سبحانه: ﴿ قَدۡ أَفۡلَحَ مَن زَكَّىٰهَا ۝٩ وَقَدۡ خَابَ مَن دَسَّىٰهَا ﴾. (١)

٢– ما يتعلق بالأسرة:

– فقد حث الإسلام على حسن العشرة بين الزوجين.

– الحفاظ على تربية الأولاد وعدم إيذائهم والتأكيد على أن الخلق والرزق والإعطاء والمنع بيد الله وحده يقول عز وجل: ﴿ وَلَا تَقۡتُلُوٓاْ أَوۡلَٰدَكُمۡ خَشۡيَةَ إِمۡلَٰقٖۖ نَّحۡنُ نَرۡزُقُهُمۡ وَإِيَّاكُمۡۚ إِنَّ قَتۡلَهُمۡ كَانَ خِطۡـًٔا كَبِيرٗا ﴾ (٢)، ثم الأمر للأولاد بحسن معاملة الأبوين والرحمة بهم عند الكبر، يقول عز وجل: ﴿ وَوَصَّيۡنَا ٱلۡإِنسَٰنَ بِوَٰلِدَيۡهِ إِحۡسَٰنٗاۖ ﴾. (٣)

٣– ما يتعلق بالمجتمع: في الآداب والمعاملات يقول تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَدۡخُلُواْ بُيُوتًا غَيۡرَ بُيُوتِكُمۡ حَتَّىٰ تَسۡتَأۡنِسُواْ وَتُسَلِّمُواْ عَلَىٰٓ أَهۡلِهَاۚ ذَٰلِكُمۡ خَيۡرٞ لَّكُمۡ لَعَلَّكُمۡ تَذَكَّرُونَ ﴾. (٤)

وفي مجال الاقتصاد ومعاملاته: قال عز من قائل: ﴿ وَلَا تَجۡعَلۡ يَدَكَ مَغۡلُولَةً إِلَىٰ عُنُقِكَ وَلَا تَبۡسُطۡهَا كُلَّ ٱلۡبَسۡطِ فَتَقۡعُدَ مَلُومٗا مَّحۡسُورًا ﴾. (٥) فالدين الإسلامي لا يقر البزخ والإسراف في أي جانب من الجوانب لا في المأكل ولا المشرب ولا الملبس ولا حتى في الصدقة ومنه قوله تعالى في المعاملات: ﴿ وَيۡلٞ لِّلۡمُطَفِّفِينَ ۝١ ٱلَّذِينَ إِذَا ٱكۡتَالُواْ عَلَى ٱلنَّاسِ يَسۡتَوۡفُونَ ۝٢ وَإِذَا كَالُوهُمۡ أَو وَّزَنُوهُمۡ يُخۡسِرُونَ ﴾. (٦)

---

(٥) آية: (٩، ١٠) من سورة الشمس.
(١) آية (٣١) الإسراء.
(٢) آية (١٥) من سورة الأحقاف.
(٣) آية (٢٧) من سورة النور.
(٤) آية (٢٩) من سورة الإسراء.
(٥) الآيات: (١–٣) من سورة المطففين.

وفي مجال الحث على التعاون بين المسلمين في إثبات الدين وكتابته لئلا يجحده المدين. قال تعالى: ﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا تَدَايَنتُم بِدَيْنٍ إِلَىٰٓ أَجَلٍ مُّسَمًّى فَٱكْتُبُوهُ وَلْيَكْتُب بَّيْنَكُمْ كَاتِبٌۢ بِٱلْعَدْلِ ۚ وَلَا يَأْبَ كَاتِبٌ أَن يَكْتُبَ كَمَا عَلَّمَهُ ٱللَّهُ ۚ ﴾.(١)

٤- **في مجال السياسة والحكم ووجوب العدل يقول تعالى:** ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَن تُؤَدُّواْ ٱلْأَمَـٰنَـٰتِ إِلَىٰٓ أَهْلِهَا وَإِذَا حَكَمْتُم بَيْنَ ٱلنَّاسِ أَن تَحْكُمُواْ بِٱلْعَدْلِ ۚ ﴾.(٢)

٥- **في مجال الكون: الدعوة إلى التأمل والنظر والاعتبار والتفكر وإعمال العقل للتوصل به إلى ما في الكون من إبداع وإتقان يقول تعالى:** ﴿ إِنَّ فِى خَلْقِ ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَٱخْتِلَـٰفِ ٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ لَـَٔايَـٰتٍ لِّأُوْلِى ٱلْأَلْبَـٰبِ ﴿١٩٠﴾ ٱلَّذِينَ يَذْكُرُونَ ٱللَّهَ قِيَـٰمًا وَقُعُودًا وَعَلَىٰ جُنُوبِهِمْ وَيَتَفَكَّرُونَ فِى خَلْقِ ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ رَبَّنَا مَا خَلَقْتَ هَـٰذَا بَـٰطِلًا سُبْحَـٰنَكَ فَقِنَا عَذَابَ ٱلنَّارِ ﴾.(٣)

وقبل ذلك كله وفوق ذلك ما يتعلق بحق الخالق العظيم سبحانه وتعالى الذى منه كل النعم وله كل الحمد والمنن يقول عز من قائل: ﴿ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَـٰلَمِينَ ﴿٢﴾ ٱلرَّحْمَـٰنِ ٱلرَّحِيمِ ﴿٣﴾ مَـٰلِكِ يَوْمِ ٱلدِّينِ ﴿٤﴾ إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ ﴿٥﴾ ٱهْدِنَا ٱلصِّرَٰطَ ٱلْمُسْتَقِيمَ ﴾.(٤) فالله وحده أحق بأن يحمد الحمد كله، وأن ترجى رحمته الواسعة، وأن يخشى عقابه العادل يوم الجزاء، هو وحده الذى يستحق العبودية الخالصة، وأن يستعان به، وأن يطلب منه الهداية إلى الصراط المستقيم صراط الذين أنعمت عليهم غير المغضوب عليهم من اليهود والنصارى. (٥)

---

(٦) آية: (٢٨٢) من سورة البقرة.
(١) آية: (٥٨) من سورة النساء.
(٢) الآيات: (١٩٠-١٩١) من سورة آل عمران.
(٣) الآيات: (٢-٦) من سورة الفاتحة.
(٤) الخصائص العامة في الإسلام ص ١٢٠، الوسطية في الإسلام د/ على الصلابي ص ٣٧١، وما بعدها، معالم المنهج الإسلامي د/ محمد عمارة ص ٥١.

الخاتمة

الحمد لله من علينا فجعلنا أمة وسطاً، أحمده سبحانه أن يقول غلطاً، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، تقدس أن يقضى لغطاً، وأشهد أن نبينا محمداً عبد الله ورسوله، المنزل عليه قول ربه سبحانه: ﴿ وَلَا تُطِعْ مَنْ أَغْفَلْنَا قَلْبَهُ عَن ذِكْرِنَا وَاتَّبَعَ هَوَاهُ وَكَانَ أَمْرُهُ فُرُطًا ﴾.(١)، وصلى الله عليه وعلى آله وصحبه الذين سلكو منهجاً وسطاً، فلا تجاوز فيه ولا شططاً، والتابعين ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين.

وبعد،،،

فإن من حكمة الله تعالى أن اختار الوسطية شعاراً مميزاً لهذه الأمة التى هى آخر الأمم، ولهذه الرسالة التى ختم بها الرسالات الإلهية، وبعث بها خاتم الأنبياء رسولاً للناس جميعاً، ورحمة للعالمين، هذه المزايا جعلت هذه الوسطية أليق برسالة الإسلام الخالدة لأنها تعنى العدل، والاستقامة، وهي دليل الخيرية، وتمثل الآمان، ودليل القوة، ومركز الوحدة ونقطة التلاقى، إن وسطية الإسلام لم تقف على أمور العبادات من طهارة وصلاة ونحوها، بل تعدتها إلى العادات والمعاملات واللباس والطعام والنوم وغيرها في تنظيم شامل لشتى مناحى الحياة.

وثمة مجال آخر برزت فيه وسطية هذه الأمة، في جانب من أهم جوانبها وهو الجانب المتعلق بالمرأة: فجاءت هذه الشريعة الغراء والمرأة مظلومة بين جاهلتين فكرمتها وحفظت حقوقها وسمت بها أن تكون أجيرة، وصانتها من الوقوع في مستنقع الرذيلة، وكفلت لها حريتها الشرعية، ونأت بها عن مسالك التحرر من القيم والهبوط في براثن الإباحية والانحلال، والإنسلاخ من الفضائل وسلوك مسالك التبرج والسفور والاختلاط المحرم.

إن الوسطية في الإسلام لا تخضع للأهواء والرغبات فليست تنصلاً من الثوابت والمقومات، ولا تمرداً على المبادىء والأهداف والغايات، وإنما وضع الشرع الضوابط لا تفريط ولا إفراط.

---

(١) آية: (٢٨) من سورة الكهف.

إن الدين الإسلامي وسط في الاعتقاد وفي العبادات والشرائع، وسط في الأخلاق، وفي تشريعه ونظامه القانوني والاجتماعي، وازنت فيه بين مصلحة الفرد ومصلحة الجماعة، وما أحوج الأمة الآن إلى التمسك بمنهج الوسطية، فهى حبل النجاة، وسفينة الانقاذ، لأمتنا العربية والإسلامية، من التيه والضياع بل الهلاك والدمار.

إن الدين الإسلامي واسع الأفق قابل لكل تجديد في سبيل الرقى والتقدم والبناء، ويرفض الجمود والتعصب والعنف والهدم، فوسطية الإسلام تسعى إلى تحقيق منهج في الحياة لإيجاد التوازن في حياة الإنسان الروحية والمادية وفق فطرة الله التى فطر الناس عليها.

فتلك وسطية الإسلام اكتملت أصولها في حياة الرسول ﷺ كما رسمها القرآن الكريم في نصوصه الكثيرة التى تدعو إلى الاعتدال وتحذر من التطرف، وتعبر عنه بعدة ألفاظ منها الغلو والتنطع والتشديد، فمن خلال تلك النصوص أصبح من الواضح الجلى أن الإسلام ينفر أشد النفور من هذا الغلو ويحذر منه أشد التحذير منها قوله تعالى: ﴿ قُلْ يَٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ لَا تَغْلُوا۟ فِى دِينِكُمْ غَيْرَ ٱلْحَقِّ وَلَا تَتَّبِعُوٓا۟ أَهْوَآءَ قَوْمٍ قَدْ ضَلُّوا۟ مِن قَبْلُ وَأَضَلُّوا۟ كَثِيرًا وَضَلُّوا۟ عَن سَوَآءِ ٱلسَّبِيلِ ﴾. (١)

وعن ابن عباس – رضى الله عنهما– أن النبي ﷺ قال: " إياكم والغلو في الدين، فإنما هلك من كان قبلكم بالغلو في الدين ". (٢)

وعن أنس بن مالك – ﷺ– أن رسول الله ﷺ قال: " لا تشددوا على أنفسكم، فيشدد عليكم، فإن قوماً شددوا على أنفسهم فشدد عليهم..."(٣)

ومن هذه النصوص وغيرها كثير يتضح لنا أن الإسلام منهج الوسطية في كل شيء، في التصور، الاعتقاد، التعبد، التنسك،الأخلاق،السلوك،المعاملة والتشريع، وينهى عن الغلو والتطرف....

(١) آية: (٧٧) من سورة المائدة.
(٢) أخرجه النسائي في كتاب المناسك رقم (٣٠٥٩).
(٣) أخرجه أبو داود في الأدب (٤٩٠٤).

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين،،،

ثبت المراجع

أولاً: القرآن الكريم.

ثانيا: مصادر التفسير.

١- تفسير الطبرى – المسمى جامع البيان في تأويل القرآن لأبي جعفر محمد بن جرير الطبرى المولود سنة ٢٢٤ هـ والمتوفى سنة ٣١٠ هـ راجعه وخرج أحاديثه أحمد محمد شاكر – الغد العربي

٢- الجامع لأحكام القرآن للإمام شمس الدين أبي عبد الله محمد بن أحمد بن أبى بكر ابن فرح الأنصارى القرطبي – المتوفي سنة ٦٧١ هـ الطبعة الأولى – الناشر دار الغد العربي.

٣- تفسير ابن كثير – مختصر لتفسير الإمام الجليل الحافظ عماد الدين أبى الفداء إسماعيل بن كثير الدمشقى المتوفي سنة ٧٧٤ هـ – اختصار وتحقيق محمد على الصابونى – الطبعة الثامنة – دار القرآن الكريم بيروت.

٤- تفسير الطبرى – المسمى جامع البيان في تأويل القرآن لأبى جعفر محمد بن حرير الطبرى المولود سنة ٢٢٤ هـ والمتوفى سنة ٣١٠ هـ راجعه وخرج أحاديثه أحمد محمد شاكر – الغد العربى.

٥- أيسر التفاسير لكلام العلى الكبير لأبى بكر جابر الجزائرى ط الأولى – المدينة المنورة.

٦- التفسير الواضح لمحمد محمود حجازى – الطبعة الثامنة ١٤٠٠ هـ – ١٩٨٠ م، الناشر دار التفسير للطبع والنشر، القاهرة.

ثالثًا: مصادر الحديث.

١- سبل السلام شرح بلوغ المرام من جمع أدلة الأحكام للإمام محمد بن إسماعيل الكحلانى ثم الصنعانى المعروف بالأمير المتوفي سنة ١١٨٢ هـ – تحقيق إبراهيم عصر الطبعة السابعة ١٩٩٢ م – دار الحديث.

٢- سنن ابن ماجة للحافظ ابن عبد الله محمد بن يزيد القزوينى المولود سنة ٢٠٧ هـ والمتوفي سنة ٢٧٥ هـ – حقق نصوصه ورقم كتبه وأبوابه وأحاديثه محمد فؤاد عبد الباقى – طبعة دار إحياء التراث.

٣- سنن أبي داود للإمام الحافظ أبي داود سليمان بن الأشعث السجستانى الأزدي المولود سنة ٢٠٢ هـ – والمتوفى بالبصرة في شوال سنة ٢٧٥ هـ حقق أصله وضبط غرائبه وعلق حواشيه محمد محى الدين عبد الحميد – المكتبة العصرية بيروت.

٤- سنن الترمذى لأبي عيسى بن سورة المولود سنة ٢٠٩ هـ المتوفى سنة ٢٧٩ هـ – تحقيق وشرح محمد

شاكر – طبعة دار إحياء التراث العربي.

٥- صحيح البخارى للإمام أبي عبد الله محمد بن إسماعيل بن إبراهيم بن المغيرة البخاري – تقديم الشيخ أحمد محمد شاكر – الناشر دار الحديث.

٦- صحيح مسلم بشرح النووي – مكتبة زهران – المطبعة المصرية ومكتبتها.

٧- صحيح مسلم للإمام أبي الحسين مسلم بن الحجاج القشيرى النيسابورى المولود سنة ٢٠٦ هـ – والمتوفى سنة ٢٦١ هـ – تحقيق محمد فؤاد عبد الباقى الطبعة الأولى – دار الحديث.

٨- السنن الكبرى لإمام المحدثين الجليل أبى بكر أحمد بن الحسين بن على البيهقى المتوفى سنة ٤٥٨ هـ ويليه الجوهر النقى لعلاء الدين على بن عثمان المارديني الشهير بابن التركمانى – الطبعة الأولى بالهند – مطبعة مجلس دائرة المعارف العثمانية بحيدر آباد – الهند.

رابعاً: مصادر أصول الفقه وقواعده.

١- الموافقات في أصول الشريعة لأبى إسحاق الشاطبى وهو إبراهيم بن موسى اللخمى الغرناطى المالكى المتوفى سنة ٧٩٠ هـ – دار الحديث – القاهرة.

٢- المُستصفى للإمام أبى حامد الغزالى، تحقيق محمد عبد السلام الشافعى – الطبعة الأولى ١٤١٣ هـ – دار الكتب العلمية.

٣- علم أصول الفقه د/ عبد الوهاب خلاف – دار الحديث.

٤- مذكرة في أصول الفقه د/ محمد الأمين الشنقيطى – دار العلوم والحكمة.

٥- أصول الفقه للإمام محمد أبو زهرة – دار الفكر العربى.

خامساً: مصادر اللغة والمعاجم.

١- لسان العرب للإمام العلامة أبى الفضل جمال الدين محمد بن مكرم بن منظور الافريقى المصرى – طبعة دار المعارف.

٢- المصباح المنير فى غريب الشرح الكبير للرافعى للإمام أحمد بن محمد بن على المقرى الفيومى المتوفى سنة ٧٧٠ هـ – تحقيق الدكتور عبد العظيم – طبعة بيروت – لبنان – المكتبة العربية.

٣- مختار الصحاح للشيخ الإمام محمد بن أبى بكر بن عبد القادر الرازى – دار الحديث.

٤- معجم لغة الفقهاء أ. د/ محمد رواس قلعجى، الطبعة الأولى ١٤١٦ هـ – ١٩٩٦ م، دار النفائس.

٥- المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم وضعه محمد فؤاد عبد الباقى – دار الحديث بالقاهرة – الطبعة الأولى.

٦- معجم المصطلحات والألفاظ الفقهية للدكتور محمود عبد الرحمن عبد المنعم – دار الفضيلة.

سادساً: مصادر حديثه.

١- الوسطية ودور الإعلام في إبرازها د/ يوسف القرضاوى بحث مقدم لندوة أقرأ الفقهية فى شعبان ١٤٢٧هـ الموافق ١٥ أكتوبر ٢٠٠٦ م.

٢- الصحوة الإسلامية بين الاختلاف المشروع والتفرق المذموم د/ يوسف القرضاوى – دار الشرق.

٣- المعالم والضوابط في مفهوم الوسطية للدكتور/ وهبة الزحيلى، بحث مقدم إلى مؤتمر الوسطية منهج حياة، دولة الكويت من ١٣: ١٥ ربيع الآخر ١٤٢٦ هـ الموافق ٢١-٢٣/٥/٢٠٠٥، ضمن مجلد قضايا الفقه والفكر المعاصر، دار الفكر.

٤- معالم المنهج الإسلامى د/ محمد عمارة ط الأولى – ١٤٢٩ هـ – ٢٠٠١ م – دار السلام.

٥- وسطية الإسلام وواقعيته د/ حسين طنطاوى الترتورى، الطبعة الأولى – ١٤٢٦ هـ – ٢٠٠٥ م، دار ابن الجوزى – القاهرة.

٦- الخصائص العامة للإسلام، د/ يوسف القرضاوى.

٧- الإعلام عقيدة وشريعة للإمام محمود شلتوت – دار الشروق.

٨- عظمة الإسلام د/ محمد عطية الإبراشى.

٩- العدالة الاجتماعية أ/ سيد قطب.

١٠- الوسطية في القرآن الكريم د/ على العلالى – ط الأولى، ١٤٢٨ هـ – ٢٠٠٧ م، دار ابن الجوزى.

١١- وسطية الإسلام وسماحته ودعوته للحوار د/ وهبة الزحيلى بحث مقدم إلى المؤتمر العالمى عن مواقف الإسلام من الإرهاب والتطرف – جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، بحث ضمن مجلد قضايا الفقه والفكر المعاصر – دار الفكر.

١٢- كلمات فى الوسطية ومعالمها د/ يوسف القرضاوى – ضمن سلسلة كتاب الأمة الوسط – إصدار المركز العالمى للوسطية بالكويت.

١٣- الأعمال الكاملة للشيخ محمد عبده ط الأولى، ١٤١٤ هـ – ١٩٩٣ م – دار الشروق.

١٤- مظاهر الوسطية في التشريع الإسلامى أ/ محمد مسعد ياقوت، المشرف العام على موقع نبى الرحمة

١٥- المواريث فى الشريعة الإسلامية د/ محمد على الصابونى.

١٦- تاريخ الفقه الإسلامى د/ محمد على السايس، ١٤٢٣ هـ – ٢٠٠٢ م ، ط الأولى، دار الفرفور.

١٧- تاريخ التشريع د/ أحمد العليان ط الأولى ١٤٢٢هـ - ٢٠٠١ م.

١٨- تاريخ التشريع د/ أحمد عثمان – دار أشبيليا – المملكة العربية السعودية.

١٩- تاريخ التشريع والفقه الإسلامى للمؤلفة.

٢٠- المنتقى في تاريخ التشريع الإسلامى د/ محمد أنيس عبادة، الطبعة الأولى ١٣٨٥ هـ - ١٩٦٥ م – دار الطباعة المحمدية بالأزهر، القاهرة.

فهرس الموضوعات

الموضـــــــــوع	رقم الصفحة
المقدمة:	٣٨٩
المبحث الأول: مفهوم الوسطية	٣٩٣
المبحث الثاني: مزايا الوسطية ومعالمها	٤٠٠
المبحث الثالث: حاجة الأمة إلى الوسطية	٤٠٤
المبحث الرابع: مظاهر العدل في الإسلام	٤٠٦
المبحث الخامس: مظاهر العدل والوسطية في الأحكام الشرعية.....	٤١٠
المطلب الأول: وسطية الإسلام في الاعتقاد	٤١١
المطلب الثاني: وسطية الإسلام في العبادات والشعائر	٤١٧
المطلب الثالث: وسطية الإسلام في التشريع	٤٢٩
المطلب الرابع: التيسير ورفع الحرج	٤٣٦
المطلب الخامس: الرخص الشرعية	٤٣٨
– أنواع الرخص	٤٣٩
المطلب السادس: التدرج في التشريع	٤٤٣

المطلب السابع: الوسطية والاعتدال في المعاملات المالية والعلاقات الاجتماعية والأخلاق	٤٤٨
الخاتمة	٤٥٤
ثبت المراجع	٤٥٦
فهرس الموضوعات	٤٦٠